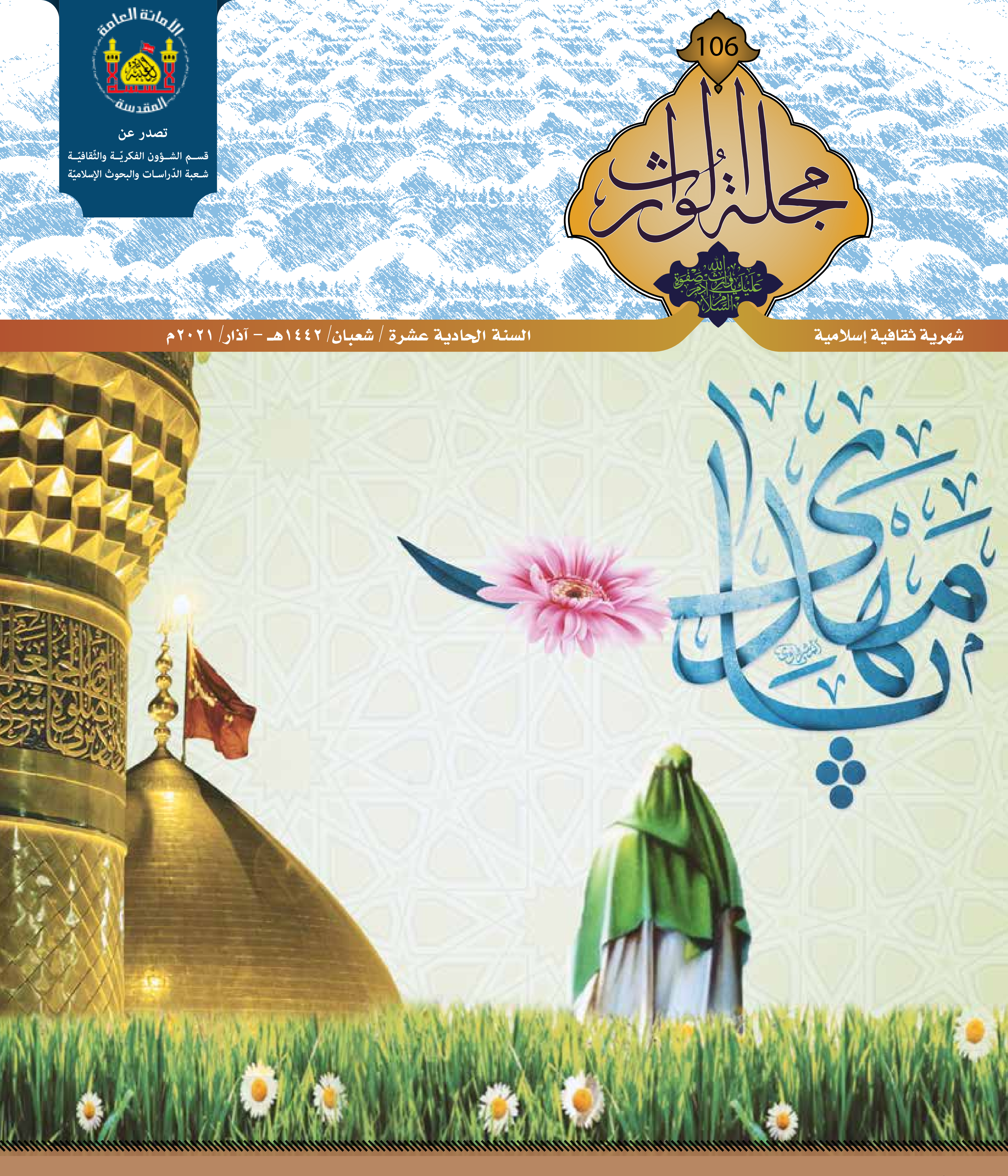


من أبرز المقالات:

- التمييز بين القيام والفتنة
- إنّ الله تعالى قرن طاعته بطاعة آل محمد عليهم السلام
- الأُصول العامة للفهم الرمزي في روايات الظهور

بسم الله الرحمن الرحيم

الإشراف العام
الشيخ رائد الحيدري

رئيس التحرير
د. لواء عبد الحسين عطية

مدير التحرير
الشيخ محمد فاضل الزبيدي

سكرتير التحرير
محمد رزاق صالح

هيأة التحرير
الشيخ حمزة عبد الواحد اللامي
الشيخ علي جبار إسماعيل
الشيخ حسين علي السعداوي
السيد صفوان ضياء قاسم
الأستاذ مهدي أحمد السعدي
د.أسعد شهيد الحسناوي
م.د. مقدام محمد البياتي
م.م. خالد عبد النبي الأسدي
م.م. فضاء ذياب غليّم
م.م. عماد طالب موسى
حيدر رحيم اسماعيل الشويلي
زين العابدين علي الطائي

التدقيق اللغوي
ضياء قاسم عبد العالي

التصميم والإخراج الفني
عبد الصاحب رضا صادق
MK Design

التصوير الفوتوغرافي
مهدي رزاق صالح

الموقع الالكتروني
السيد حسين عدنان رضيوي

الهـــاتف: 009647435000242
موقع العتبة: www.imamhussain.org
موقع القسم: www.imamhussain-lib.org
بريد القسم: info@imamhussain-lib.org

الترقيم الدولي: 2518 - 5624
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (1211) لسنة 2009م

تصدر عن





المراقبة الإلهية

ان اسم الرقيب من اسماء الله الحسنى، ولهذا الإسم معنى واسع، وأثر عظيم، فالله تعالى بيّن أن الرقابة الإلهية تشمل الباطن والظاهر للإنسان، وذكر لذلك الآيات الكريمة، واجرى على لسان نبيه الاحاديث الشريفة.

لكي يسمو بالإنسان عن المرتبة البهيمية ويرقى به الى المرتبة الإنسانية الكاملة وهي مرتبة العبودية الحقة، فاذا راقب الإنسان ربه ارتدع عن المعاصي وبادر إلى الطاعات، وهذب نفسه وطهر قلبه.

ولا تحقق المراقبة إلا بملاحظة الأمور التالية:

أ- ان يعلم ويتيقن بأن الله تعالى يعلم ما في باطنه، وما يدورني خلده، وما توسوس به نفسه، فإذا علم ذلك وتيقن منه ارتدع عن التفكير السلبي والنيّة السيئة، والهواجس المخلّة بالإيمان، فبملاحظة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾.(ق/١٦).

ب- ان يؤمن بأن الله تعالى جعل عليه رقيبا من الملائكة فبقوله تعالى يتضح هذا الأمر (ما يلفظ من قول الا لربه رقيب عتيد).

ج- أن يؤمن ويوقت أن الله تعالى جعل عليه رقيبا من نفسه كافي قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.(النور/٢٤)، وهناك آيات أخرى تشير إلى ذلك.

د- أن يؤمن ويوقت أن الله تعالى يرا ويرى عملك كما في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾.(الفلق/١٤)، وقوله تعالى ﴿ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ... ﴾.(التوبة/١٠٥) ويجمع كل ما مر من اكوان الرقابة قوله تعالى ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.(البقرة/٨٥)، وقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾.(النحل/١٩) ثم جمع كل ذلك بقوله ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴾.

فهذه السعة من الرقابة الإلهية تدعوا العاقل إلى أن يراقب ربه ويستحي عند قدومه على ما لا يرضيه، ويخاف مما ارتكب من سيئات احصاها عليه.

التمييز بين القيام والفتنة

* الشيخ حسين أحمد كريمو

من جملة المفاهيم أو الشعارات المزيّفة التي تمّ توظيفها بطريقة تخوينية تهويلية في مواجهة حركة سيد الشهداء عليه السلام هو شعار (الحفاظ على وحدة الأُمّة) وذلك بتصوير الحسين عليه السلام رجلاً يسعى للفرقة وتشتيت الكلمة وتمزيق الصفوف، في محاولة لتأليب الرأي العام ضدّه وإفقاد حركته الصبغة الشرعية، وإسباغها لبوساً انشقاقياً ضيّقاً، ويبدو أنَّ معاوية هو أوّل من رمى حركة الحسين عليه السلام بهذه التهمة.

فقد جاء في رسالة وجّهها إليه: (انظر لنفسك ولدينك ولأُمّة محمّد، واتقِ شقَّ عصا هذه الأُمّة وأنْ تردّهم إلى فتنة). (بحار الأنوار:٤٤/٢١٢)

وهكذا فعل عمرو بن سعيد الذي وجّه إلى الإمام رسالة يحذره فيها من الشقاق. (البداية والنهاية:٨/١٧٥)

وقد نسج عبد الله بن عمر على المنوال نفسه حيث كان يرى أنَّ على الإمام (أنْ لا يتحرّك ما عاش، وأنْ يدخل في صالح ما دخل فيه الناس فإنَّ الجماعة خير). (كلمات الإمام الحسين عليه السلام:٣٠٣٩)

والأمر عينه فعله عبيد الله بن زياد مع مسلم بن عقيل، فقد خاطبه بعد أسره وإحضاره إليه: (يا شاق، خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين وألقحت الفتنة)، فأجابه مسلم: «كذبت يابن زياد إنّما شقَّ عصا المسلمين أنت وأبوك زياد». (مثير الأحزان للحلي:٢٤)

ولا عجب أن يُتّهم الحسين عليه السلام بأنّه يشقّ عصا المسلمين، فقد اتُّهم بذلك والده أمير المؤمنين عليه السلام. (بحار الأنوار:٣٣/٨١)

مفهوم (شقّ الصف)

لا يرتاب مسلم في أَنَّ شقَّ عصا الأُمّة وتشتيت كلمتها وتمزيق صفوفها هو من كبائر الإثم والمعاصي، كيف وقد حثّ القرآن الكريم على جمع الشمل والاعتصام بحبل الله، ونهى عن التنازع والتناحر، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾. [الأنفال:٤٦]

وهكذا فإنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله حذّر من الخروج على الجماعة فقال صلَّى الله عليه وآله فيما روي عنه: «من خرج من الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه». (كنز العمّال:١/٢٠٧)

وفي حديث آخر عنه صلَّى الله عليه وآله قال: «من شقَّ عصا المسلمين، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه». (كنز العمال:١/٢٠٨)

وعنه صلَّى الله عليه وآله قال: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أنْ يشقّ عصاكم أو يفرّق جماعتكم

فاقتلوه». (كنز العمال:٨١/٦)

بيد أنَّ الأمر الجدير بالبحث والتأمل هو معرفة المراد من (شقِّ عصا الأُمّة)، فهل أنَّ كلَّ حركة ثورية تواجه السلطان تعتبر حركة انشقاقية مذمومة؟

وهل أنَّ شقَّ العصا المذموم يعني السكوت على الظلم والمنكر وإقرار الواقع الفاسد؟

ثمَّ هل من الصحيح والجائز وضع نهضة الإمام الحسين عليه السلام في خانة الحركات الانشقاقية؟

التمييز بين الفتنة والقيام

إنَّ ثمة فارقاً شاسعاً ومائزاً واضحاً بين الفتنة والثورة من جهة، وبين شقِّ العصا والمعارضة الاحتجاجية على ممارسات الحاكم الجائر والمستبد من جهة أُخرى، ولا يجوز الخلط بين هذا وذاك.

فالفتنة تكون في حالة عدم تمييز الحق عن الباطل، وعلى الإنسان أنْ يكون فيها حيادياً.

أمّا القيام أو النهضة أو الجهاد بالسلاح والعتاد، أو بالكلمة والموقف فيكون في حالة الصراع بين الحق والباطل، وهذا أمرٌ محبوب بل هو واجب وفعل جهاد، وقد ورد « أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِر...». (الكافي الشريف:٦٠/٥)

ولا يجوز للإنسان أنْ يكون حيادياً بين الحق والباطل.

ولطالما عمل الظالم والحاكم المستبد على تمييع المفاهيم والتلاعب بالمصطلحات وقلب الحقائق واستغلالها استغلالاً سيئاً، بغية قمع كلِّ تحرّكٍ شعبيٍ معارض لحكمه وكمّ الأفواه المنددة بظلمه.

وهكذا تحوّل مفهوم (شق العصا) إلى عصا غليظة لجلد المعارضين والأحرار، وغدا عنوان الفتنة حجّة لزجّ المظلومين في السجون.

عدم النظر إلى الشعارات والكلمات البرّاقة

في ضوء ما تقدّم يتّضح أنَّ الأصل في وصف حركة معينة بأنّها حركة انشقاق وفتنة، أو حركة مقاومة وتحرر، أنْ ننظر إلى واقع الأُمور لا إلى مجرّد الشعارات والكلمات المعسولة.

لأنَّ للباطل علاماته وللحقِّ علامته وموازينه.

وربّ حركة إذا تمّت وفق ضوابط خاصة وضمن سياقات معينة وظروفٍ محدّدة تكون حركة تحرر أو عملاً نهضوياً.

ولكن إذا اختلفت الظروف وتبدّلت السياقات تغدو عملاً فتنوياً أو انتحارياً.

والضابط الأساس في هذا المجال: أنّ التوحّد واجتماع الكلمة إذا كان على الخير والهدى ومصلحة الأُمّة وحفظ النفس والدين والعرض ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف فهو أمر مطلوب وواجب، والخروج على وحدة الأُمّة من هذا النوع مرفوض وغير مبرر ديناً وعقلاً ومنطقاً.

وبالمقابل فإنّ الاحتجاج والاعتراض إذا كان على الظلم والعدوان وتجاوز القيم والمبادئ، فإنّه لا يعدّ عملاً انشقاقياً مذموماً، بل هو أمر مطلوب وواجب ولو كان فيه خروج على إجماع الأُمّة وخرق لوحدتها.

الحسين عليه السلام قائد القيام المقدّس

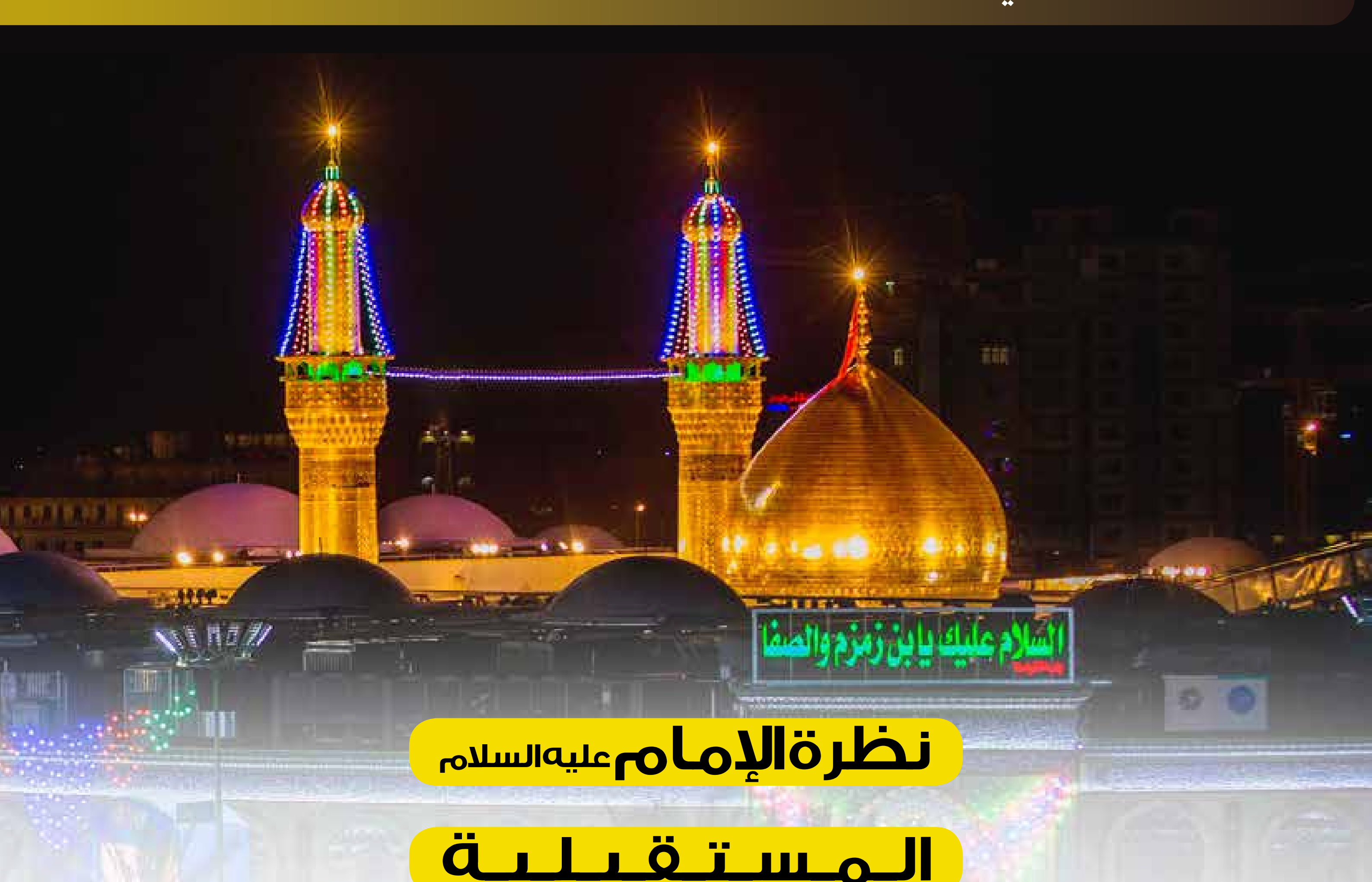
وفقاً للمعيار والضابطة المتقدّمة يصبح واضحاً أنَّ حركة الإمام الحسين عليه السلام وقيامه هي حركة ثائر ومجاهد يريد تصحيح الفساد وتقويم الانحراف الذي دبَّ في جسم الأُمّة، وليست حركة شخص باغٍ للفتنة أو السلطة أو الشهرة.

وإنَّ دراسة تاريخية بسيطة لواقع الأُمّة الإسلامية آنذاك وما وصلت إليه الأُمور من انحراف خطير عن مسار الرسالة وأحكام الشريعة وتعاليمها، ما مثّل انقلاباً شاملاً وردّة كاملة على مبادئ الإسلام انطلقت من رأس الهرم السلطة، ولاسيّما بعد تولّي يزيد المعروف بفسقه وفجوره لخلافة المسلمين، مع ما جرّته إمرته هذه على الأُمّة من ويلات وكوارث.

إنّ دراسة بسيطة لذلك كفيلة بتصديق وتأكيد ما نقوله من أنَّ حركة الإمام الحسين عليه السلام كانت أكثر من مطلوبة وواجبة؛ لأنَّها حركة إصلاح وتغيير، ولا يصحّ بحال من الأحوال أنْ توصف بأنَّها حركة انشقاقية أو حركة فتنة، وإنّنا نقول هذا الكلام مع غض النظر عن موقفنا المبدئي القاضي بأنَّ الحسين عليه السلام هو مصدر الشرعيّة، واستناداً إلى مواقفه تُقاس أفعال الآخرين وسلوكهم، دون العكس.

ويمكننا تجاوز ما قلناه من أنَّ حركة الإمام الحسين عليه السلام هي حركة ثورة وإصلاح لا حركة فتنة وانشقاق، لنقول أكثر من ذلك: إنَّ النهضة الحسينية استطاعت رفع الالتباس بين مفهومي الثورة والفتنة، ورسمت الحدّ الفاصل بينهما، ووضعت مفهوم (شق عصا) المسلمين في سياقه ونصابه الصحيح، ليغدو واضحاً أنَّ الطرف الآخر المعادي للإمام هو صاحب الفتنة وهو الذي يشقّ عصا الأُمّة، ولذا جاء في رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية: «وَإِنِّي لاَ أَعْلَمُ فِتْنَةً أَعْظَمُ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ وِلاَيَتِكَ عَلَيْهَا». (بحار الأنوار:٢١٢/٤٤)

وفي ردّه على رسالة عمرو بن سعيد التي حذره فيها من الشقاق كتب عليه السلام إليه: «إِنْ أَرَدْتَ بِكِتَابِكَ بِرِّي وَصِلَتِي فَجُزِيْتَ خَيْرَاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يُشَاقِقِ مَنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنِّي مِنَ المُسْلِمِين». (البداية والنهاية:١٧٧/٨)



نظرة الإمام عليه السلام المستقبلية

* الشيخ محمد البغدادي

يصف بعض الباحثين نهضة الإمام الحسين عليه السلام بأنّها مأساة إنسانيّة مروّعة، ويرى آخرون أنّها أشبه بعملية انتحارية لم تبلغ أهدافها، بل أسفرت عن نتائج مأساوية مؤلمة لا تزال علامة فارقة في جبين الإنسانية وأشهر من العلم في تاريخ البشرية منذ خلق آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام حتى الآن.

بيد أنّ هذا التحليل يبدو سطحياً وساذجاً وهو مبتنٍ على رؤية قاصرة لأهداف القيام الحسيني ومقاصدها ونتائجها، ويؤسفنا أنّ بعض الباحثين لم يوفقوا لإدراك أبعاد تلك النهضة المباركة وبليغ دروسها وعظيم عطاءاتها وكانوا أقصر نظراً من الزعيم الهندي الشهير (غاندي) القائل: (تعلّمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر).

ويظهر للمتأمّل أنّ أساس الأخطاء لدى هؤلاء هو في نظرتهم الخاطئة لمفهوميّ النصر والهزيمة، هذه النظرة الضيقة التي تحدّد مفهوم النصر بمقدار النجاح العسكري فحسب، الأمر الذي لم يتحقّق في نهضة سيد الشهداء عليه السلام، مع وجود شواهد تاريخية تؤكّد على ظهور الانكسار على جيش عمر بن سعد عليه لعائن الله بعد رجوعه من كربلاء.

وهذا المفهوم الخاطئ أنتج نظرية خاطئة ألا وهي أنّ حركة سيد الشهداء عليه السلام كانت فاشلة وفق المقياس المذكور، على أنّ النصر يجب أن يكون عسكرياً.

لكنّ النظرة المذكورة لمفهوم النصر غير دقيقة، بل هي مجتزأة ومشوّهة ولا تلامس الحقيقة، فالحقيقة التي يدركها البصير والمتابع لحركة النهضة الحسينية وتداعياتها ونتائجها على الواقع الإسلامي ماضياً وحاضراً هي أنّ دماء الحسين عليه السلام أسهمت في تغيير مجرى التاريخ الإسلامي، بل وأصلحت مسير أُمّة محمّد صلّى الله عليه وآله، وأيقظت الضمائر الميتة وخلقت حركة وعي



في الأُمّة الإسلامية كان من نتائجها تصحيح مسار الأُمّة، وكشف زيف الدولة الأُموية المتمثلة بيزيد وأبيه وجدّه عليهم لعائن الله.

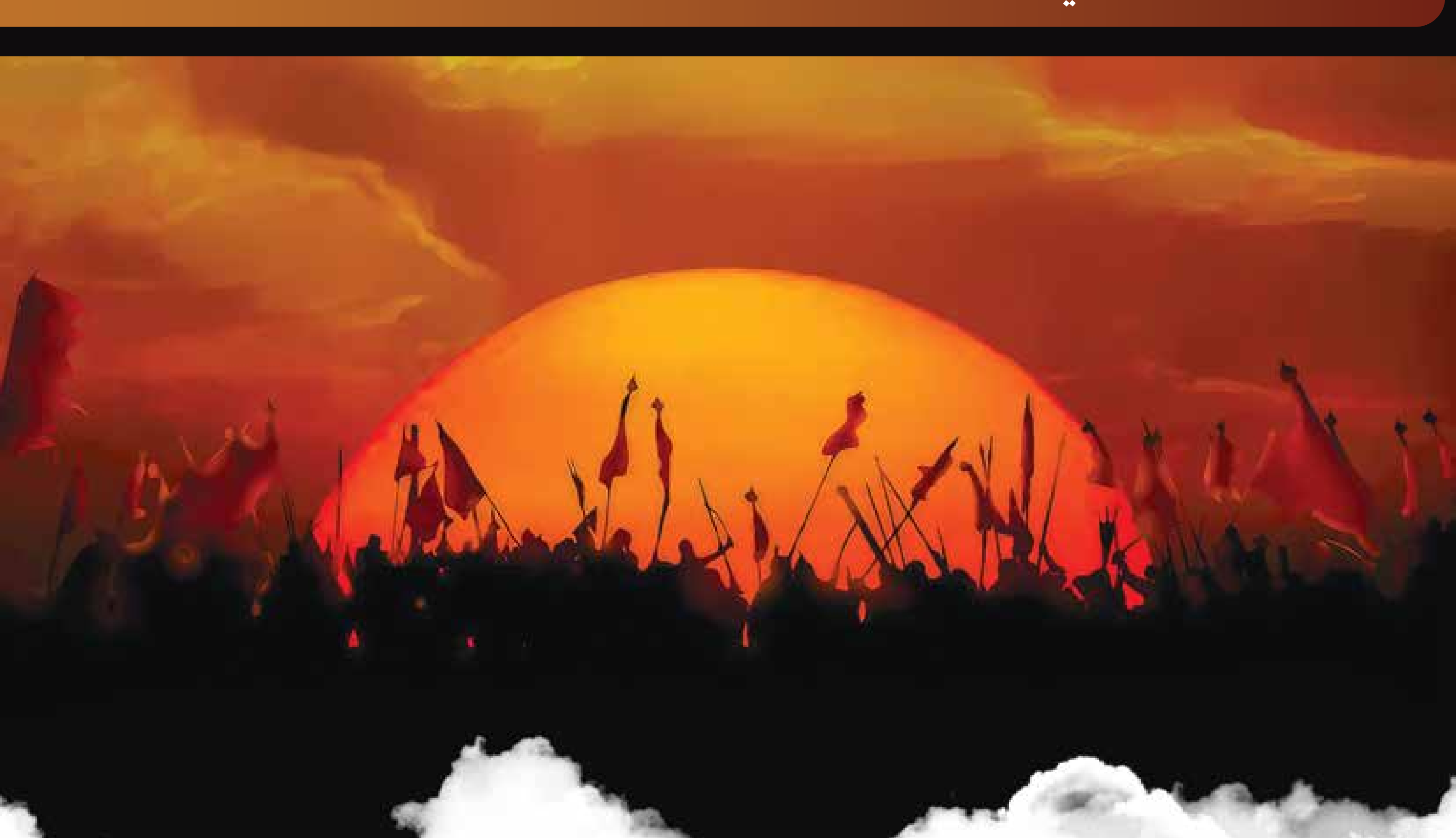
وإنّ الدولة الأُمويّة ليست امتداداً لخلافة الرسول صلّى الله عليه وآله، وقد بدأت حركات التمرّد وثورات الغضب والانتقام التي تلاحقت وتتالت (حركة المختار الثقفي، وحركة التوّابين وغيرها من الحركات والثورات)، ما أدّى إلى سقوط حكم بني أُميّة وانهيار سلطانهم، هذا من جهة.

ومن جهة أُخرى، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام أصبح مثلاً أعلى لكلّ الأحرار من أجل التحرّر والانعتاق من نير الظالمين والمستبدين، وعندما يغدو المرء ملهماً للأحرار فهذا دليل انتصار لا هزيمة، وعندما تزلزل دماؤه الزكية عروش الظالمين فهذا دليل نصر مؤزر لا مأساة مروعة.

وهكذا نستطيع القول:

إنّ نهضة سيد الشهداء الحسين بن عليٍّ عليهما السلام صحّحت مفهوم النصر ذاته، وبرهنت على شموليته وسعته، ليصبح أبعد مدى من مجرّد النجاح العسكري وأعمق غوراً من مجرّد الفوز الآني المؤقت، وقد أثبتت الأيام خطأ كلّ أولئك الأشخاص المخلصين أو غير المخلصين الذين حاولوا ثني الإمام الحسين عليه السلام عن عزمه وتقديم (النصائح) إليه بترك التوجّه إلى الكوفة، بحجة أنّ أهلها لا يمكن الوثوق بهم، وكذلك دعوتهم له إلى ترك النهضة والخروج على حكم يزيد لأنّ فرص نجاحها ضئيلة.

فإنّ نظرة هؤلاء (المشفقين) إلى الأُمور كانت قاصرة وخاطئة وسطحيّة، بينما كان الحسين عليه السلام ينظر إلى المستقبل البعيد، فيرى أنّ دمه الزاكي سيتحوّل إلى نار تحرق كلّ الظالمين، ويرى قوافل الأحرار تهتف باسمه وتسير على نهجه وتتخذه مثلاً أعلى وقدوة في الجهاد التحرّر.



الفتح في اللحاق بسيد الشهداء عليه السلام

* ضياء قاسم عبد العالي

انتصار القيم والأخلاق

إنّ الحسين عليه السلام هو ميزان الحق، فانتصاره على الباطل هو انتصار القيم والأخلاق على الباطل.

فإنّه لم يتنازل عن قيمه وأخلاقه، ولم يتقاعس عن القيام بواجبه، ولم يرضَ لنفسه حياة الذلّ والهوان، وقد قالها عليها السلام: «موت في عِزٍّ خَيرٌ مِن حياةٍ في ذُلّ». (بحار الأنوار:٤٤/١٩٢، ح٤)

وأنشأ عليه السلام يَومَ قُتِلَ:

الموتُ خيرٌ من رُكُوبِ العارِ

والعارُ أولى من دُخُولِ النارِ

(منتخب ميزان الحكمة:١/٢١٨)

إنّ سيد الشهداء عليه السلام انتصر وانتصرت معه المبادئ الإسلامية، وبقيت شعلة الدين حيّة، وسنّة النبيّ صلَّى الله عليه وآله وتعاليمه الشريفة حاضرة وفاعلة.

وقد أشار إلى هذا المعنى إمامنا وسيّدنا زين العابدين عليه السلام عندما ورد المدينة المنورة بعد واقعة كربلاء، واستقبله إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله فقال له: يا عليّ بن الحسين، مَنْ غلب؟ وقد غطّى عليه السلام رأسه، وهو في المحمل، فقال له عليه السلام: «إذا أردت أنْ تعلم من غلب، ودخل وقت الصلاة فأذن، ثم أقم». (أمالي الطوسي:٦٧٧)

وهذا هو الذي جعل الإمام الحسين عليه السلام يُطلق على قيامه صفة الفتح؛ لأنّ القيام الذي

يحمل هذه المعاني ويهدف إلى تجديد حيوية الدين وفاعليته في النفوس، ويفضح كلَّ أشكال الزيف والتضليل، ويزلزل عروش الظالمين، ويغدو مثلاً أعلى لكلِّ الأحرار يشكل فتحاً عظيماً.

وقد ورد فيما روي عنه من كتابه إلى أخيه محمد ابن الحنفية وقد كتبه إليه وهو في مكة: «بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليٍّ إلى محمد بن عليٍّ ومن قبله من بني هاشم، أمّا بعد... فَإِنَّ مَن لَحِقَ بِي استُشهِدَ، ومَن لَم يَلحَق بي لَم يُدرِكِ الفَتحَ، وَالسَّلامُ». (الإمامة والسياسة:١/٢٢٧)

لقد رأينا الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء رغم كلِّ الجراح والآلام والتعب والنصب والجوع والعطش يعيش حالة مرتبطة مع الله تعالى لا نظير لها، يسقط أمامه الشهيد تلو الشهيد من أنصاره وإخوانه وأبنائه فلا يزيده ذلك إلّا إصراراً وعزيمة على تكميل مشروعه، وكلّما اشتدّت عليه الخطوب ونالت منه الرماح والسيوف وأطبقت عليه الرجال والخيول كان يزداد توهّجاً وإشراقاً ويتلألأ وجهه نوراً يرجو لقاء ربّه تعالى، كما وصفه بعض خصومه). (بحار الأنوار:٤٥/٥٠)

وهكذا نجد أنّ الفرح الروحي ينسحب على كلِّ أصحاب سيد الشهداء عليهم السلام الذين استقبلوا الموت بصدور عاريّة ونفوس مطمئنة وكانوا يترنّمون بأراجيز وأشعار تعبّر عن روح عالية ورباطة جأش وإخلاص وشهامة لا نظير لها.

وإنّ مشهد عقيلة بني هاشم السيدة زينب الكبرى عليها السلام بعد مصرع أخيها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته عليهم السلام وهي تشقّ صفوف الجيش الأُموي المحتشد والذي كان يترقّب منها البكاء والعويل، وإذا بها تفاجئ الجموع عندما تضع يدها تحت جسد أخيها الطاهر عليه السلام وهو جثّة بلا رأس ثم تقول: «اللهم تقبّل منّا هذا القليل من القربان». (زينب الكبرى للنقدي:١/٧٥، من كتاب الطّراز المذهّب)

إنّ هذا المشهد الملحمي البطولي خير دليل على أنّ السيّدة زينب عليها السلام هي المنتصرة على عمر بن سعد وجيشه لعنهم الله، وأنّ سيد الشهداء عليه السلام هو المنتصر على يزيد وأزلامه لعنهم الله.

فالنصر يخرج من رحم المعاناة والجِراح والصبر والفداء والإيثار و...، والهزيمة هي انهزام الذات وانحدار القيم والتخلي عن المبادئ والأُصول.

قال عليه السلام وهو مثخن بالجراح في يوم عاشوراء مخاطباً آل أبي سفيان: «وَيْحَكُمْ، يا شيعَةَ آلِ أَبي سُفْيانَ! إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دينٌ، وَكُنْتُمْ لا تَخافُونَ الْمَعادَ، فَكُونُوا أَحْـراراً في دُنْياكُمْ هذِهِ». (مقتل الحسين للخوارزمي:٢/٣٨)

وهذا أكبر دليل على أنّ قتلة الحسين عليه السلام هم من أتباع آل أبي سفيان وبني أُمية، لا من شيعة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام كما يزعم بعض النواصب والحاقدين على الدين والمذهب.

هزيمة جيش عمر بن سعد لعنه الله

حينما ننتقل إلى معسكر عمر بن سعد وجيشه لعنهم الله ونتساءل، أيّ نصر حقّقه هؤلاء الشرذمة المجرمون؟

وهم قد استعملوا كلَّ الأدوات والأسلحة المحرّمة واللاأخلاقية في حربهم ضدَّ سيد شباب أهل الجنة الحسين بن عليٍّ عليهما السلام، فضلاً عن الشتائم والسباب وحبس الماء حتى عن الطفل الرضيع والنساء، وختم جريمتهم البشعة بسبي بنات رسول الله صلَّى الله عليه وآله وضربهنّ بالسياط وتسيير رؤوس الشهداء عليهم السلام والتمثيل بالأجساد الطاهرة أمام أعين النساء والأطفال!

أيّ نصر هذا؟

إنّ جيش يزيد بن معاوية لعنهما الله لم يغمض له جفن بعد ليلة الحادي عشر من شهر محرم الحرام من عام واحد وستين بعد الهجرة، وإنّما عاش - كما يظهر من سيرته- حصاراً اجتماعياً وهزيمة نفسية وعذاباً روحياً أمام محكمة الضمير والتاريخ التي لاحقته وأدانت ذلك الجيش الجرار الذي وقف بوجه أفضل أهل زمانه حسباً ونسباً.

هذا قبل ملاحقتهم بسيوف الثوار والطالبين بأثر الحسين عليه السلام واستئصالهم عن آخرهم.

ثم أحيلوا بعد الواقعة البشعة إلى محكمة التاريخ التي أدانتهم وجرّمتهم أيضاً، ووضعتهم في سجلاتها وصفحاتها السوداء القاتمة، وسوف يحالون عاجلاً إنْ شاء الله تعالى على محكمة العدل الإلهي ليقفوا بين يدي عزيزٍ مقتدر ويعاقبهم على ما اقترفت أيديهم وسوّلت لهم أنفسهم لعنهم الله على فعلهم.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. [الشعراء/٢٢٧]



إنّ الله تعالى قرن طاعته بطاعة آل محمد عليهم السلام

* الشيخ حسن الحائري

قال عليه السلام: «وَقَرَنَ طَاعَتَكُمْ بِطَاعَتِهِ».

لمّا كان تعالى بائناً من خلقه بينونة صفةٍ لا بينونة عزلةٍ، وكان مصير كلِّ شيءٍ إليه وجب في اللطف أنْ يميّز خلقه بحدودهم التي هي غيوره.

قال الإمام عليٌّ بن موسى الرضا عليه السلام في خطبته: «...وَكُنْهُهُ تَفْرِيقٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ وَغُيورُهُ تَحْدِيدٌ لِمَا سِوَاه...».(التوحيد:٣٦)

وذلك ليعرفوه تعالى بمباينته لحدود خلقه التي منها الاتّحاد والمساواة والموافقة والمخالفة والمشاركة والمضادّة والشبه والاقتران والاجتماع والمباينة والمفارقة وغير ذلك فيعرفوه تعالى بخلافها وخلاف خلافها ويلزم هذا التوحيد والتجريد الغنى المطلق.

فآية التوحيد الانفراد بما يجوز عليه ففرق بهذا اللحاظ بين طاعته وطاعتهم، فقال «وقرن طاعتكم بطاعته» وآية الغنى المطلق إنّما ينسب إليه ويجوز عليه غير ذاته المقدّسة فهو لأقرب خلقه إليه وإنّما نسبه إليه وهو لهم تشريفاً لهم وتعظيماً، ولأنّ ما لم يكن له باطل فلا يجعل لمن جعلهم أحبّاءهُ بالحقّ ما يكون باطلاً إذا لم ينسب إليه ما لم ينسب إليه ليكون حقّاً يليق منه تعالى لأحبّائه الحقّ فقال تعالى في آية الغنى المطلق ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾.[النساء:٨٠]

فآية التوحيد أنّه تعالى قرن طاعتهم بطاعته ليبين من خلقه بينونة صفةٍ لا بينونة عزلةٍ لأنّ مقتضى بينونة الصفة تعدّد الطاعة ومقتضى بينونة العزلة عدم اقتران طاعتهم بطاعته فافهم، وهو الغني المطلق في توحيده المتوحد في غناه فيجب في آية غناه أنْ يعتبر كون المراد بتعدّد الطاعة مع اتّحادها في الغنى المطلق ومع التوحيد والغنى المطلق أنّ الطاعة بمقتضى الغنى المطلق لا تكون طاعة إلّا إذا نسبت إليه ليصح كونها طاعةً تعود إلى من شاءَ وأحبَّ، فقوله عليه السلام: «وقرن طاعتكم بطاعته»، مع أنّه قال قبل هذا «مَن أطاعكم فقد أطاع الله»، وهو مشعر بأنّ طاعة الله

تعالى هي طاعتهم نفسها، لأنّه أتى بقد الداخلة على الماضي المفيدة للتحقيق ولا شكّ أنّ من أطاعهم فإنّما أطاع الله لبيان تحقّق كونها طاعةً في الأمر نفسه بإيقاعها له تعالى بتبيينهم مشفوعةً بولايتهم ومحبّتهم والبراءة من أعدائهم.

ولا يلزم على الظاهر أنّ مَن أطاع الله فقد أطاعهم لما ورد في حديث مناقب ابن شاذان من قوله تعالى في الحديث القدسي: «لَأُدْخِلُ الْجَنَّةَ مَنْ أَطَاعَ عَلِيّاً وَإِنْ عَصَانِي، وَأُدخِلُ النَّارَ مَنْ عَصَاهُ وَإِنْ أَطَاعَنِي».(مجمع البحرين:١/٢٩٦)

ولا يخفى أنّ طاعة عليٍّ عليه السلام هو طاعة الله بل بطاعته لا يمكن للعبد أنْ يعصي الله تعالى، لعلم الله تعالى بأنَّ ما يصدر من عليٍّ عليه السلام هو عين أوامره، بل فيه الإطاعة.

وهذا الحديث متواتر مرويّ بالمعنى من الفريقين فكانت طاعته تعالى في الظاهر قد لا تكون طاعة لهم نعم إذا أُريد بالطاعةِ الطاعة التي هي عند الله تعالى وعندهم طاعة، فهي طاعة الله الناشئة عن طاعتهم يعني على النحو الذي أطاعوا به الله سبحانه وأمروا أنْ يطاع به الله سبحانه وهي ما أُخذت عنهم ورضوا بها طاعة لله سبحانه ولا تكون إلّا بطاعتهم وإنّما سمّى تلك طاعة له تعالى على زعمهم أنّها طاعةٌ له وليست طاعةً له بل هي معصيةٌ له ولهذا يدخل صاحبَها النّار وذلك لأنّه تعالى أمر عباده بأنْ يأتوا البيوت من أبوابها وقد جعلهم عليهم السلام أبوابه وأمر عبادَهُ بأنْ يطيعوه بطاعتهم وأخبرهم بأنّ مَن أطاعني بطاعة غيرهم فقد أشرك بي فهم يطيعونَهُ بطاعة أعدائهم لعنهم الله وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً فأخبر سبحانه عن حالهم يوم القيامة فقال: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.[الأنعام:٢٢]

فقال تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وآله يا محمد ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.[الأنعام:٢٤]

فعَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَرَأَيْتُ مَوْلًى لِأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَمِلْتُ إِلَيْهِ لِأَسْأَلَهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَإِذَا أَنَا بِأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام سَاجِداً فَانْتَظَرْتُهُ طَوِيلًا فَطَالَ سُجُودُهُ عَلَيَّ فَقُمْتُ وَصَلَّيْتُ رَكَعَاتٍ وَانْصَرَفْتُ وَهُوَ بَعْدُ سَاجِدٌ فَسَأَلْتُ: مَوْلَاهُ مَتَى سَجَدَ؟ فَقَالَ: مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا، فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامِي رَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: «أَبَا مُحَمَّدٍ ادْنُ مِنِّي»، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَسَمِعَ صَوْتاً خَلْفَهُ فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ الْمُرْتَفِعَةُ؟»، فَقُلْتُ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مِنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ الْقَوْمَ يُرِيدُونِّي، فَقُمْ بِنَا»، فَقُمْتُ مَعَهُ فَلَمَّا أَنْ رَأَوْهُ نَهَضُوا نَحْوَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: «كُفُّوا أَنْفُسَكُمْ عَنِّي وَلَا تُؤْذُونِي وَتَعْرِضُونِي لِلسُّلْطَانِ فَإِنِّي لَسْتُ بِمُفْتٍ لَكُمْ» ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي وَتَرَكَهُمْ وَمَضَى، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ لِي: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ وَاللهِ لَوْ أَنَّ إِبْلِيسَ سَجَدَ لِلهِ عَزَّ ذِكْرُهُ بَعْدَ الْمَعْصِيَةِ وَالتَّكَبُّرِ عُمُرَ الدُّنْيَا مَا نَفَعَهُ ذَلِكَ وَلَا قَبِلَهُ اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ مَا لَمْ يَسْجُدْ لِآدَمَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ؛ وَكَذَلِكَ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْعَاصِيَةُ الْمَفْتُونَةُ بَعْدَ نَبِيِّهَا صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَعْدَ تَرْكِهِمُ الْإِمَامَ الَّذِي نَصَبَهُ نَبِيُّهُمْ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهُمْ فَلَنْ يَقْبَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُمْ عَمَلًا وَلَنْ يَرْفَعَ لَهُمْ حَسَنَةً حَتَّى يَأْتُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ وَيَتَوَلَّوُا الْإِمَامَ الَّذِي أُمِرُوا بِوَلَايَتِهِ وَيَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الَّذِي فَتَحَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ لَهُمْ، يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَمْسَ فَرَائِضَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ وَوَلَايَتَنَا فَرَخَّصَ لَهُمْ فِي أَشْيَاءَ مِنَ الْفَرَائِضِ الْأَرْبَعِ وَلَمْ يُرَخِّصْ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي تَرْكِ وَلَايَتِنَا لَا وَاللهِ مَا فِيهَا رُخْصَةٌ».(الكافي الشريف:٨/٢٧١)

وفيه عنه عليه السلام في حديث آخر قال: «وَصَلَ اللهُ طَاعَةَ وَلِيِّ أَمْرِهِ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ بِطَاعَتِهِ فَمَنْ تَرَكَ طَاعَةَ وُلَاةِ الْأَمْرِ لَمْ يُطِعِ اللهَ وَلَا رَسُولَهُ وَهُوَ الْإِقْرَارُ بِمَا أُنْزِلَ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَل».(الكافي الشريف:١/١٨٢)

ويجوز أنْ يكون المراد بقَرْنِ طاعتهم بطاعته الاتّحاد في الظهور الكوني والمساوقة في الصدورِ منَ الفِعْل وإنْ وُجِد التّعدّد في نفسه، لأنّ التّعدّد في الأمر نفسه يلزم منه تعدّد المَنْسوب إليه لأنّ الطّاعة وصفٌ نسبي يستلزم مطاعاً وإذا كان غنياً لذاته لم يرد شيئاً لذاته وإنّما يريد لغيره وهم ذلك الغير لا غير.

وأيضاً الطاعة حادثة ولا تنسب إلّا إلى حادث وهم ذلك الحادث المنسوب إليه الحادث وإنّما نريد بالترتيب العلمي الموجب للتعدّد في اللفظ، إنّ هذه الطّاعة الواحدة إنّما تكون طاعة في الواقع بنسبَتَيْن، نسبة الإيقاع ونسبة التعيين.

أمّا نسبة الإيقاع فبأنْ يوقِعَها المطيع لله تعالى وحده وهي النسبة الأُولى في الاعتبار وهي مشتملةٌ

على ابتداءين بينهما انتهاء، وأمّا نسبة التعيين بأنْ يأخذها وكيفيّتها عنهم بشروطها من ولايتهم ومحبّتهم والتسليم لهم والـردّ إليهم إليهم ومـن الـبـراءة من أعدائهم وهي النسبة الثانية في الاعتبار وهي مشتملة على انتهاءين بينهما ابتداء.

فالنسبة فيها ابتداء من الله تعالى بفضله ورحمته بأنْ أنزل تلك الطاعة في مادة النور وهذا الابتداء الأوّل من النسبة إليه تعالى والانتهاء الأوّل من النسبة إليهم، إنّ ذلك النور أنزله إليهم وأوحى إليهم علم الكيفيّة لطاعته فقدّروها بأمر الله تعالى كما شاء ورفعها المطيع الممتثل لأمرهم إلى الله تعالى بأنْ أوقعها له عزّ وجلّ وهذا هو الانتهاء المتوسط من النسبة إليه تعالى فقبلها لموافقتها لإرادته ومحبته وأمره فأحياها بأنْ نفخ فيها روح القبول فأنزلها منه تعالى إليهم وهذا الإنـزال هو الابتداء الثاني من النسبة إليه وإليهم أي وكون الإنزال إليهم هو الانتهاء الثاني من النسبة إليهم فكانت الطاعة الحقّ منه إليهم بالفضل الابتدائي.

والسؤال الأوّل ثمّ منهم إليه تعالى بالإجابة الحقّة ثمّ منه تعالى إليهم بإقامة الولاية الكبرى ورفع لواء الحمد له تعالى بهم فمن حيث لحاظ الابتداء والانتهاء منه إليهم ومنهم إليه ومنه إليهم قال عليه السلام «وقرن طاعتكم بطاعته» ومن حيث لحاظ أنّ شرط الصحة فيها أنْ تكون له تعالى بهم ولهم منه قال عليه السلام: «قرن طاعتكم بطاعته» فظهر اللفظ بصورة التعدّد ومن حيث أنّه تعالى حصر شؤونه فيهم عليهم السلام وحصر حوائج الخلق عندهم قال: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾.[النساء:٨٠]

وقالوا عليهم السلام: «فجعل طاعتنا طاعته تعالى ومعصيتنا معصيته»، فتقرّر المعنى واللفظ على الاتحاد كما هو حكم الغني المطلق.

فمن هنا نقول: الله تعالى جعلهم الواسطة الوحيدة لقضاء حوائجهم، وليس معنى هذا الكلام التفويض، ولا نفيه ولا سلبه عن الله تعالى، فهو القاضي للحاجات وحده، بل هم الباب والوسيلة، كما ورده عنه عليه السلام: «مَنْ أَرَادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ». (تهذيب الأحكام:٦/٩٩)

وقال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾. [النساء:٨٠]

فحصر طاعته في طاعة الرسول صلَّى الله عليه وآله، والأخبار في أنّهم الوسيلة إلى الله كثيرة.

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «...نَحْنُ النَّهْجُ الْقَوِيمُ، وَالطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ، مَنْ آمَنَ بِنَا آمَنَ بِاللهِ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْنَا رَدَّ عَلَى اللهِ، وَمَنْ شَكَّ فِينَا شَكَّ فِي اللهِ، وَمَنْ عَرَفَنَا عَرَفَ اللهَ، وَمَنْ تَوَلَّى عَنَّا تَوَلَّى عَنِ اللهِ، وَمَنْ أَطَاعَنَا أَطَاعَ اللهَ، وَنَحْنُ الْوَسِيلَةُ إِلَى اللهِ، وَالْوُصْلَةُ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ...». (بحار الأنوار:٢٥/٢٣)

وعن طارق بن شهاب، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «...فَهُمُ الْجَنْبُ الْعَلِيُّ، وَالْوَجْهُ الرَّضِيُّ، وَالْمَنْهَلُ الرَّوِيُّ، وَالصِّرَاطُ السَّوِيُّ، وَالْوَسِيلَةُ إِلَى اللهِ، وَالْوُصْلَةُ إِلَى عَفْوِهِ وَرِضَاهُ سِرُّ الْوَاحِدِ وَالْأَحَدِ، فَلَا يُقَاسُ بِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ أَحَد...» .(بحار الأنوار:٢٥/١٧٤)

فالشؤون والحوائج تنحصر عندهم، ولكن منهم



إلى الله سبحانه وتعالى، فلا تصل إليه دعوة إلَّا بهم وبوسيلتهم، والأمر كلُّه لله، قال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾.[المائدة:٣٥]

وفي تفسير هذه الآية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أَنَا وَسِيلَتُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُمَّتِهِ وَأَنَا وُوُلْدِي وَرَثَتُهُ». (إرشاد القلوب:٢/٣٠٦)

وفي العيون عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله أنّه قال: «الْأَئِمَّةُ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، مَنْ أَطَاعَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَاهُمْ فَقَدْ عَصَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، هُمُ

الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَهُمُ الْوَسِيلَةُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ». (عيون أخبار الرضا عليه السلام:٥٨/٢)

وفي كتاب الغيبة بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: «إِذَا أَرَادَ اللهُ أَمْراً عَرَضَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسَائِرِ الْأَئِمَّةِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى صَاحِبِ الزَّمَانِ عَجَّلَ اللهُ فَرَجَه، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الدُّنْيَا؛ وَإِذَا أَرَادَ الْمَلَائِكَةُ أَنْ يَرْفَعُوا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَمَلًا عُرِضَ عَلَى صَاحِبِ الزَّمَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ يَخْرُجُ عَلَى وَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ، إِلَى أَنْ يُعْرَضَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، ثُمَّ يُعْرَضُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا نَزَلَ مِنَ اللهِ فَعَلَى أَيْدِيهِمْ وَمَا عُرِجَ إِلَى اللهِ فَعَلَى أَيْدِيهِمْ وَمَا اسْتَغْنَوْا عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ طَرْفَةَ عَيْنٍ». (الغيبة للطوسي:٣٨٧)

فما نزل من الله فعلى أيديهم، وما عرج إلى الله فعلى



أيديهم، وما استغنوا عن الله طرفة عين، وهذه هي العقيدة الوسطى، كما قالوا عليهم السلام: «شِيعَتِي النَّمَط الْأَوْسَطُ». (أمالي المفيد:٥)

وعن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «...إِنَّ خَيْرَ شِيعَتِي النَّمَطُ الْأَوْسَطُ إِلَيْهِمْ يَرْجِعُ الْغَالِي وَبِهِمْ يَلْحَقُ التَّالِي». [أمالي الطوسي:٦٢٦]

فإنّ الله خلق الموجودات لهم، وأمرها بطاعتهم؛ لأنّه غنيٌّ عن كلِّ شيء، قال تعالى في حديث قدسي: «خلقتك لأجلي وخلقت الأشياء لأجلك». (علم اليقين:٣٨١/١)

وجاء في حديث الكساء: «قال الله تعالى: يا ملائكتي ويا سُكّانَ سمواتي، إنّي ما خلقتُ سماءً مبنيةً ولا أرضاً مدحيةً، ولا قمراً منيراً ولا شمساً مُضيئةً ولا فَلَكاً يدورُ، ولا بحراً يجري ولا فُلْكاً تسري إلّا في محبةِ هؤلاءِ الخمسةِ الذينَ هم تحتَ الكساءِ. فقال الأمينُ جبرائيلُ: يا رَبِّ ومن تحتَ الكساءِ؟ فقال اللهُ عزَّ وجلَّ: همْ أهلُ بيتِ النبوةِ ومعدنُ الرسالةِ وهمْ: فاطمةُ وأبوها وبعلُها وبَنُوها». (صحيفة الأبرار للمامقاني:١٧٠/١)

وقال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: «نَحْنُ صَنَائِعُ اللهِ، وَالخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعٌ لَنَا». (نهج البلاغة:٣٨٦)

وفي موضع آخر قال عليه السلام: «إِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعٌ لَنَا». (شرح نهج البلاغة:١٨١/١٥)

وجاء في بعض توقيعات الإمام المهدي عجل الله فرجه: «وَنَحْنُ صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُنَا». (غيبة الطوسي:٢٨٥)

فلمّا كان الوجود بأسره قد خلقه الله لهم، فطاعتهم واجبة عليهم بأمر الله تعالى، وهـم عليهم السلام يطيعون عقلهم، ويأتمرون بأوامره، والعقل الكلّي هو عقلهم الشريف، وهو أوّل ما خلق الله، الذي قال له: «أَقْبِلْ فأَقْبَل، أدْبِرْ فأدْبَرْ...». (أمالي الصدوق:٤١٨)

فعن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ اسْتَنْطَقَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ؛ ثُمَّ قَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، وَلَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أُحِبُّ، أَمَا إِنِّي إِيَّاكَ آمُرُ وَإِيَّاكَ أَنْهَى وَإِيَّاكَ أُعَاقِبُ وَإِيَّاكَ أُثِيبُ». (الكافي الشريف:١٠/١)

وهو بكليته نور طاعة، لأنّه تعالى لا يشوبه شيء غير النور والطاعة.

فإذا أطاع الإنسان عقله أطاع الله، فليس فوق هذا ولا دونه كلام.

عَنْ سعْد بن عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقُلْتُ: الْمَلَائِكَةُ أَفْضَلُ أَمْ بَنُو آدَمَ؟ فَقَالَ: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ رَكَّبَ فِي الْمَلَائِكَةِ عَقْلًا بِلَا شَهْوَةٍ، وَرَكَّبَ فِي الْبَهَائِمِ شَهْوَةً بِلَا عَقْلٍ، وَرَكَّبَ فِي بَنِي آدَمَ كِلَيْهِمَا، فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ شَهْوَتَهُ، فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؛ وَمَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَقْلَهُ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْبَهَائِمِ». (علل الشرائع:٥/١)



نــــــزول الــوحـــــي ليس منحصراً في الأنبياء

* في كتاب شرح الزيارة الجامعة للشيخ محمّد باقر المجلسي (رحمه الله)

مُخْتَلَفَ المَلائِكَةِ

جاء في زيارة الجامعة قوله عليه السلام: «وَمُخْتَلَفَ الْمَلائِكَةِ».

قيل: هو محل تردّد الملائكة للخدمة، أو اكتساب العلوم والكمالات، ولا استبعاد في ترقّيهم والاكتساب منهم، بل ورد في الأخبار الكثيرة أنّهم لم يعرفوا الله إلّا من أهل البيت عليهم السلام. (روضة المتقين:٤٥٨).

روى الصدوق بالأسانيد القويّة، عن عبد السلام بن صالح الهروي، عن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: مَا خَلَقَ اللهُ خَلْقاً أَفْضَلَ مِنّي وَلاَ أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنّي، قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ فَأَنْتَ أَفْضَلُ أَمْ جَبْرَئِيلُ؟ فَقَالَ صلَّى الله عليه وآله: يَا عَلِيُّ إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضَّلَ أَنْبِيَاءهُ الْمُرْسَلِينَ عَلَى مَلاَئِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ وَفَضَّلَنِي عَلَى جَمِيعِ النَّبِيّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْفَضْلُ بَعْدِي لَكَ يَا عَلِيُّ وَلِلأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِكَ وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَخُدَّامُنَا وَخُدَّامُ مُحِبّينَا، يَا عَلِيُّ {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ... وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} بِوَلاَيَتِنَا، يَا عَلِيُّ لَوْلاَ نَحْنُ مَا خَلَقَ اللهُ آدَمَ عليه السلام وَلاَ الْحَوَّاءَ وَلاَ الْجَنَّةَ وَلاَ النَّارَ وَلاَ السَّمَاءَ وَلاَ الأَرْضَ فَكَيْفَ لاَ نَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ وَقَدْ سَبَقْنَاهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّنَا وَتَسْبِيحِهِ وَتَهْلِيلِهِ وَتَقْدِيسِهِ لأَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْوَاحُنَا فَأَنْطَقَهَا بِتَوْحِيدِهِ وَتَمْجِيدِهِ ثُمَّ خَلَقَ الْمَلاَئِكَةَ فَلَمَّا شَاهَدُوا أَرْوَاحَنَا نُوراً وَاحِداً اسْتَعْظَمَتْ أَمْرَنَا فَسَبَّحْنَا لِتَعْلَمَ الْمَلاَئِكَةُ أَنَّا خَلْقٌ مَخْلُوقُونَ وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِنَا فَسَبَّحَتِ الْمَلاَئِكَةُ بِتَسْبِيحِنَا وَنَزَّهَتْهُ عَنْ صِفَاتِنَا فَلَمَّا شَاهَدُوا عِظَمَ شَأْنِنَا هَلَّلْنَا لِتَعْلَمَ الْمَلاَئِكَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّا عَبِيدٌ وَلَسْنَا

بِآلِهَةٍ يَجِبُ أَنْ نُعْبَدَ مَعَهُ أَوْ دُونَهُ فَقَالُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ فَلَمَّا شَاهَدُوا كِبَرَ مَحَلِّنَا كَبَّرْنَا لِتَعْلَمَ الْمَلاَئِكَةُ أَنَّ اللهَ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُنَالَ عِظَمُ الْمَحَلِّ إِلاَّ بِهِ فَلَمَّا شَاهَدُوا مَا جَعَلَهُ اللهُ لَنَا مِنَ الْعِزَّةِ وَالْقُوَّةِ فَقُلْنَا لاَ حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ لِتَعْلَمَ الْمَلاَئِكَةُ أَنَّهُ لاَ حَوْلَ لَنَا وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ فَلَمَّا شَاهَدُوا مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْنَا وَأَوْجَبَهُ لَنَا مِنْ فَرْضِ الطَّاعَةِ قُلْنَا الْحَمْدُ للهِ لِتَعْلَمَ الْمَلاَئِكَةُ مَا يُسْتَحَقُّ للهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَلَيْنَا مِنَ الْحَمْدِ عَلَى نِعَمِهِ فَقَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ الْحَمْدُ للهِ فَبِنَا اهْتَدَوْا إِلَى مَعْرِفَةِ تَوْحِيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَسْبِيحِهِ وَتَهْلِيلِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَمْجِيدِهِ.

ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ فَأَوْدَعَنَا صُلْبَهُ وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ بِالسُّجُودِ لَهُ تَعْظِيماً لَنَا وَإِكْرَاماً وَكَانَ سُجُودُهُمْ للهِ عَزَّ وَجَلَّ عُبُودِيَّةً وَلآدَمَ إِكْرَاماً وَطَاعَةً لِكَوْنِنَا فِي صُلْبِهِ.

فَكَيْفَ لاَ نَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ وَقَدْ سَجَدُوا لآدَمَ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ وَإِنَّهُ لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ أَذَّنَ جَبْرَئِيلُ مَثْنَى مَثْنَى، وَأَقَامَ مَثْنَى مَثْنَى، ثُمَّ قَالَ لِي: تَقَدَّمْ يَا مُحَمَّدُ، فَقُلْتُ لَهُ يَا جَبْرَئِيلُ أَتَقَدَّمُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ لأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضَّلَ أَنْبِيَاءَهُ عَلَى مَلاَئِكَتِهِ أَجْمَعِينَ وَفَضَّلَكَ خَاصَّةً قَالَ فَتَقَدَّمْتُ فَصَلَّيْتُ بِهِمْ وَلاَ فَخْرَ فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى حُجُبِ النُّورِ قَالَ لِي جَبْرَئِيلُ: تَقَدَّمْ يَا مُحَمَّدُ وَتَخَلَّفَ عَنِّي، فَقُلْتُ لَهُ: يَا جَبْرَئِيلُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ تُفَارِقُنِي! فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ انْتِهَاءَ حَدِّيَ الَّذِي وَضَعَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ فَإِنْ تَجَاوَزْتُهُ احْتَرَقَتْ أَجْنِحَتِي بِتَعَدِّي حُدُودِ رَبِّي جَلَّ جَلاَلُهُ.

فَزُخَّ بِيَ النُّورَ زَخَّةً حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مَا شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عُلُوِّ مَكَانِهِ فَنُودِيتُ فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ فَنُودِيتُ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ فَإِيَّايَ فَاعْبُدْ وَعَلَيَّ فَتَوَكَّلْ فَإِنَّكَ نُورِي فِي عِبَادِي وَرَسُولِي إِلَى خَلْقِي وَحُجَّتِي عَلَى بَرِيَّتِي لَكَ وَلِمَنْ تَبِعَكَ خَلَقْتُ جَنَّتِي وَلِمَنْ خَالَفَكَ خَلَقْتُ نَارِي وَلأَوْصِيَائِكَ أَوْجَبْتُ كَرَامَتِي وَلِشِيعَتِهِمْ أَوْجَبْتُ ثَوَابِي.

فَقُلْتُ: يَا رَبِّ وَمَنْ أَوْصِيَائِي فَنُودِيتُ يَا مُحَمَّدُ أَوْصِيَاؤُكَ الْمَكْتُوبُونَ عَلَى سَاقِ عَرْشِي فَنَظَرْتُ وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي جَلَّ جَلاَلُهُ إِلَى سَاقِ الْعَرْشِ فَرَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ نُوراً فِي كُلِّ نُورٍ سَطْرٌ أَخْضَرُ عَلَيْهِ اسْمُ وَصِيٍّ مِنْ أَوْصِيَائِي أَوَّلُهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَآخِرُهُمْ مَهْدِيُّ أُمَّتِي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ هَؤُلاَءِ أَوْصِيَائِي بَعْدِي؟ فَنُودِيتُ: يَا مُحَمَّدُ هَؤُلاَءِ أَوْصِيَائِي وَأَحِبَّائِي وَأَصْفِيَائِي وَحُجَجِي بَعْدَكَ عَلَى بَرِيَّتِي وَهُمْ أَوْصِيَاؤُكَ وَخُلَفَاؤُكَ وَخَيْرُ خَلْقِي بَعْدَكَ وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لأُظْهِرَنَّ بِهِمْ دِينِي وَلأُعْلِيَنَّ بِهِمْ كَلِمَتِي وَلأُطَهِّرَنَّ الأَرْضَ بِآخِرِهِمْ مِنْ أَعْدَائِي وَلأُمَلِّكَنَّهُ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَلأُسَخِّرَنَّ لَهُ الرِّيَاحَ وَلأُذَلِّلَنَّ لَهُ السَّحَابَ الصِّعَابَ وَلأُرَقِّيَنَّهُ فِي الأَسْبَابِ وَلأَنْصُرَنَّهُ بِجُنْدِي وَلأُمِدَّنَّهُ بِمَلاَئِكَتِي حَتَّى يُعْلِنَ دَعْوَتِي وَيَجْمَعَ الْخَلْقَ عَلَى تَوْحِيدِي ثُمَّ لأُدِيمَنَّ مُلْكَهُ وَلأُدَاوِلَنَّ الأَيَّامَ بَيْنَ أَوْلِيَائِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». (عيون أخبار الرضا عليه السلام:١/٢٦٣-٢٦٤).

وفي القوي كالصحيح، عن ابن أبي عمير، عن عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كَانَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام إِذَا أَتَى النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله قَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَعْدَةَ الْعَبِيدِ وَكَانَ لاَ يَدْخُلُ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ». (بحار الأنوار:٥٧/٣٠٤).

وفي الصحيح، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ صلَّى الله عليه وآله وَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ أَذَّنَ جَبْرَئِيلُ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ تَقَدَّمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلَّى الله عليه وآله تَقَدَّمْ يَا جَبْرَئِيلُ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّا لاَ نَتَقَدَّمُ عَلَى الآدَمِيِّينَ مُنْذُ أُمِرْنَا بِالسُّجُودِ لآدَمَ». (علل الشرائع:١/٨).

وفي القوي، عن حبيب بن مظاهر الأسدي رضوان الله عليه أنّه قال للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام: أي شيء كنتم قبل أنْ يخلق الله آدم عليه السلام؟ قال عليه السلام: «كُنَّا أَشْبَاحَ نُورٍ نَدُورُ حَوْلَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ فَنُعَلِّمُ الْمَلاَئِكَةَ التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ». (علل الشرائع:١/٢٢).

وروى الكليني في الصحيح عن أبي حمزة الثمالي، قال: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام فَاحْتُبِسْتُ فِي الدَّارِ سَاعَةً ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ الْبَيْتَ وَهُوَ يَلْتَقِطُ شَيْئاً وَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي وَرَاءِ السِّتْرِ فَنَاوَلَهُ مَنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا الَّذِي أَرَاكَ تَلْتَقِطُ أَيُّ شَيْءٍ؟ فَقَالَ: «فَضْلَةٌ مِنْ زَغَبِ الْمَلاَئِكَةِ نَجْمَعُهُ إِذَا جَاءُونَا نَجْعَلُهُ سِخَاباً لأَوْلاَدِنَا»، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَإِنَّهُمْ لَيَأْتُونَكُمْ؟ قَالَ: «يَا أَبَا حَمْزَةَ إِنَّهُمْ لَيُزَاحِمُونَّا عَلَى تُكَأَتِنَا». (بصائر الدرجات:١/٩٢).

وعن مُحَمَّد عَن مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَا مِنْ مَلَكٍ يُهْبِطُهُ اللهُ فِي أَمْرٍ مَا يُهْبِطُهُ إِلاَّ بَدَأَ بِالإِمَامِ فَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَإِنَّ مُخْتَلَفَ الْمَلاَئِكَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى صَاحِبِ هَذَا الأَمْرِ». (الكافي الشريف:١/٣٩٤، ح٤).





إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة والمستفيضة.

وفي أخبار متواترة أيضاً أنّ الجنّ تأتيهم فيسألون عن معالم دينهم، ويوجّهونهم إلى الخدمات المذكورة نذكر منها اثنين:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ يَحْيَى بْنِ مُسَاوِرٍ عَنْ سَعْدٍ الإِسْكَافِي قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فِي بَعْضِ مَا أَتَيْتُهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «لا تَعْجَلْ»، حَتَّى حَمِيَتِ الشَّمْسُ عَلَيَّ وَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُ الأَفْيَاءَ فَمَا لَبِثَ أَنْ خَرَجَ عَلَيَّ قَوْمٌ كَأَنَّهُمُ الْجَرَادُ الصُّفْرُ عَلَيْهِمُ الْبُتُوتُ قَدِ انْتَهَكَتْهُمُ الْعِبَادَةُ قَالَ: فَوَ اللهِ لَأَنْسَانِي مَا كُنْتُ فِيهِ مِنْ حُسْنِ هَيْئَةِ الْقَوْمِ فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَالَ لِي: «أَرَانِي قَدْ شَقَقْتُ عَلَيْكَ»، قُلْتُ: أَجَلْ وَاللهِ لَقَدْ أَنْسَانِي مَا كُنْتُ فِيهِ قَوْمٌ مَرُّوا بِي لَمْ أَرَ قَوْماً أَحْسَنَ هَيْئَةً مِنْهُمْ فِي زِيِّ رَجُلٍ وَاحِدٍ كَأَنَّ أَلْوَانَهُمُ الْجَرَادُ الصُّفْرُ قَدِ انْتَهَكَتْهُمُ الْعِبَادَةُ، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ رَأَيْتَهُمْ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «أُولَئِكَ إِخْوَانُكَ مِنَ الْجِنِّ»، قَالَ: فَقُلْتُ: يَأْتُونَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ يَأْتُونَّا يَسْأَلُونَّا عَنْ مَعَالِمِ دِينِهِمْ وَحَلَالِهِمْ وَحَرَامِهِمْ». (الكافي الشريف:١/٣٩٤، ح١).

وعن أَحْمَد بْن إِدْرِيس وَمُحَمَّد بْن يَحْيَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ سَعْدٍ الإِسْكَافِي قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام أُرِيدُ الإِذْنَ عَلَيْهِ فَإِذَا رِحَالُ إِبِلٍ عَلَى الْبَابِ مَصْفُوفَةٌ وَإِذَا الأَصْوَاتُ قَدِ ارْتَفَعَتْ ثُمَّ خَرَجَ قَوْمٌ مُعْتَمِّينَ بِالْعَمَائِمِ يُشْبِهُونَ الزُّطَّ قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَبْطَأَ إِذْنُكَ عَلَيَّ الْيَوْمَ وَرَأَيْتُ قَوْماً خَرَجُوا عَلَيَّ مُعْتَمِّينَ بِالْعَمَائِمِ فَأَنْكَرْتُهُمْ، فَقَالَ: «أَوَ تَدْرِي مَنْ أُولَئِكَ يَا سَعْدُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَقَالَ: «أُولَئِكَ إِخْوَانُكُمْ مِنَ الْجِنِّ يَأْتُونَّا فَيَسْأَلُونَّا عَنْ حَلالِهِمْ وَحَرَامِهِمْ وَمَعَالِمِ دِينِهِمْ». (الكافي الشريف:١/٣٩٥،ح٣).

وعن مُحَمَّد بْن يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْبِلَادِ عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ: أَوْصَانِي أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام بِحَوَائِجَ لَهُ بِالْمَدِينَةِ فَخَرَجْتُ فَبَيْنَا أَنَا بَيْنَ فَجِّ الرَّوْحَاءِ عَلَى رَاحِلَتِي إِذَا إِنْسَانٌ يَلْوِي ثَوْبَهُ قَالَ: فَمِلْتُ إِلَيْهِ وَظَنَنْتُ أَنَّهُ عَطْشَانُ فَنَاوَلْتُهُ الإِدَاوَةَ فَقَالَ لِي: لاَ حَاجَةَ لِي بِهَا، وَنَاوَلَنِي كِتَاباً طِينُهُ رَطْبٌ، قَالَ: فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ إِذَا خَاتَمُ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، فَقُلْتُ: مَتَى عَهْدُكَ بِصَاحِبِ الْكِتَابِ؟ قَالَ: السَّاعَةَ، وَإِذَا فِي الْكِتَابِ أَشْيَاءُ يَأْمُرُنِي بِهَا، ثُمَّ الْتَفَتُّ فَإِذَا لَيْسَ عِنْدِي أَحَدٌ قَالَ: ثُمَّ قَدِمَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام فَلَقِيتُهُ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ رَجُلٌ أَتَانِي بِكِتَابِكَ وَطِينُهُ رَطْبٌ، فَقَالَ: «يَا سَدِيرُ إِنَّ لَنَا خَدَماً مِنَ الْجِنِّ فَإِذَا أَرَدْنَا السُّرْعَةَ بَعَثْنَاهُمْ». (الكافي الشريف:١/٣٩٥، ح٤).

وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ

إمّا باعتبار هبوط الوحي إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله في بيوتهم، وإمّا لغير الشرائع والأحكام من الأخبار بالمغيّبات، أو الأعم في ليلة القدر، ويكون باعتبار الشرائع تأكيداً، أو الأعم كما يظهر من الأخبار.

ولا استبعاد فيه؛ لأنّ نزول الوحي ليس منحصراً في الأنبياء، كما هو ظاهر من الآيات والأخبار.



الإمام الحسن المُجتبى عليه السلام كريم أهل البيت

★ منتظر غريب عبد المهدي

لماذا اشتهر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بكريم أهل البيت عليهم السلام أكثر من سائر الأئمة؟! وما المُراد مِن قَول النبيّ لإمامنا المُجتبى: «أشبهتَ خَلْقِي وخُلُقي..»؟

هُناك عدّة روايات وردتْ عن الأئمة صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين تُصرّح بوجود شَبَه كبير بين النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وبين إمامنا الحسن المجتبى صلواتُ الله وسلامه عليه.

منها على سبيل المثال، هاتان الروايتان اللّتانِ يُورِدُهما الشيخ المفيد في كتابه [الإرشاد: ج٢]:

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: «كَانَ الْحَسَنُ عليه السلام أَشْبَهَ النَّاسِ بِرَسُولِ اللهِ صلَّى الله عليه وآله خَلْقاً وَهَدْياً وَسُؤْدَداً». (كشف الغمة:١/٥١٦)

وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله للحَسَن عليه السلام ذات مَرَّة: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي». (مناقب آل أبي طالب:٤/٢١)

قد يتساءل البعض.. فيقول:

كيف نفهم هذا الأمر (مَسألة التشابه بين الإمام المجتبى وبين جدّه خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله؟ هل هذا يعني أنّ بقيّة الأئمة صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين لا يشبهون رسول الله صلَّى الله عليه وآله؟! أو أنَّهم أقلُّ شَبَهاً برسول الله صلَّى الله عليه وآله؟!

وماذا عن الصفات البارزة التي بَرزتْ وظَهرتْ عند كلّ إمامٍ مَعصوم عليه السلام حتّى صار يُعْرَف ويُوصف بها، كصفة (كريم أهل البيت) بالنسبة لإمامنا السبط المُجتبى صلوات الله وسلامه عليه، وصفة كاظم الغيظ عند إمامنا الكاظم صلوات الله وسلامه عليه، وصفة زين العابدين عند إمامنا السجّاد عليه السلام.. وهكذا بقية الأئمة المعصومين عليهم أفضل الصلاة والسلام.

كيف نفهم هذه المسألة؟ هل بُروز صِفة مُعيّنة عند أحد الأئمة بحيث يُعْرَف ويُلّقب بتلك الصفة.. هل هذا يعني أنّ هذهِ الصِفة وهذا الخُلُق هو أكمل عند هذا الإمام مِن بقيّة الأئمة عليهم السلام؟!

جواب السؤال الأوّل

هذا التشابه بين الإمام المُجتبى وبين جَدّه المُصطفى صلّى الله عليه وآله ليس خَاصّاً بالإمام الحسن عليه السلام، بل يشمل المعصومين جَميعاً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فنحن إذا أردنا أنْ نَدرس سيرة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مِن جهة مَقاماتهم المَحمودة عند ربّ العزّة والجلال؛ أو مِن جهة ولايتهم الكونية المُطلقة على هذا الوجود وهي الولاية التي تكون في مسألة إيجادِ الكون وإعدامه؛ أو مِن جهة ولايتهم التكوينيّة التي يُرادُ مِنها التصَرُّف في جَميع ذَرّات هذا الكون؛ أو مِن جهة ولايتهم على الخَلْق بجَميع مَراتبها و مَظاهرها كما نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: «وإيابُ الخَلْقِ إليكم، وحِسابهم عليكم»؛ أو مِن جهة ولايتهم التشريعيّة صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين في كُلّ مظاهرها وشُؤونها (مِن تقييد للأحكام، وحَصْر، وإطلاق، ونسخ.. وغيرها) فالمعصومون الأربعة عشر في عقيدتنا هم مُشرّعون؛

أو من جهة علومهم المُحيطة بكلّ شيء كما يُشير إلى ذلك الكتاب الكريم حين يقول: {وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}؛ أو من جهة ولايتهم الأُخروية النافذة على أهل الجنان وأهل النيران؛ أو من جهة شفاعتهم وما يظهر لهم مِن المقامات السامية في يوم القيامة.

فكلُّهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في مَرتبةٍ واحدة، وكُلّهم يُشاركون النبيّ صلّى الله عليه وآله في هذهِ المَقامات.

فلهم الوَلاية المُطلقة على هذا الوجود بِمُختلَف مَراتبها ومَظاهرها.. كما نَقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة ونَحنُ نُخاطِبُهم صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين: «وذلّ كُلُّ شيءٍ لكم».

السؤال

كيف نفهم إذن اشتهار أحد المَعصومين بصِفةٍ معيّنة أكثر مِن بقيّة الأئمة؟!

الجواب: حين يُقال: إنّ الإمام الحسن عليه السلام أكثرُ شَبَهاً بالنبيّ صلّى الله عليه وآله مِن غيرهِ مِن الأئمة، فهُنا نُلاحَظُ بعض الجهات التي يُمكن أنْ نصِفَها أنّها مِن عَوارض الأُمور، وليس مِن ذاتيّات الأُمور.

فهُناك أُمورٌ ذاتيّة، وهُناك أُمورٌ عَرَضيّة، فالأئمة عليهم السلام مِن لِحاظ المَسائل التي أشرنا إليها (أي الأُمور الذاتيّة التي تُمثّل المَقامات والمظاهر الذاتيّة والحقائق الذاتيّة لنوريّة الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين) فهم بهذا اللّحاظ كلّهم في مَقام الطينة الواحدة، كلُّهم في مَقام النُوريّة الواحدة وفي مَقام المَرتبة الواحدة، في مَقام المُحمّديّة الواحدة، كما ورد في كلماتهم الشريفة أنّ النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله كان يقول: «أنا عليٌّ وعليٌّ أنا». (بحار الأنوار:١٦/٢٦)

وأمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يقول: «أنا مُحمّد ومُحمّد أنا». (بحار الأنوار:٦/٢٦)

وكما يقول أيضاً سيّد الأوصياء صلوات الله وسلامهُ عليه: «أولنا مُحمّد، أوسطنا مُحمّد، آخرنا محمّد، كلّنا مُحمّد فلا تُفرّقوا بيننا». (بحار الأنوار:٧/٢٦)

فهم صلوات الله عليهم في مَقاماتهم الذاتية نُورٌ واحد ومَرتبة واحدة وحقيقةٌ واحدة.. وهذا الذي تُعبّر عنهُ كلماتُهم الشريفة أنَّ طِينتهم واحدة ونُورهم واحد.. كما نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: «وأنَّ أرواحَكم ونُورَكم وطِينتكُم واحدة، طابتْ وطَهُرتْ بعضُها مِن بعض».

فهذا اللسان في الأحاديث الشريفة يتحدّث عن هذهِ الجهة (عن وحدة مقاماتهم الذاتيّة، وعن وحدة ولايتهم الإلهيّة المُطلقة المَبسوطة بكلّ أنحائها في هذا الوجود بعوالمهِ السُفلية، وفي تلكم العوالم العُلوية أيضاً).



مثال لتقريب الفكرة

ما يقولهُ أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وهو يتحدّث عن صُورةٍ مِن صُور ولايتهِ المُطلقة على العوالم العُلويّة، يقول: «وما في السماء مَلَكٌ يخطو قَدَماً على قَدَمٍ إلّا بإذني».

وهذا المعنى ثابتٌ لهم جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في كلِّ العَوالم.

فالمَلَك هُنا هو مِثال فقط ومِصداق مِن مصاديق المَخلوقات التي تعيش في العوالم العُلوية والتي هي خاضعةٌ وذليلةٌ تحت سُلطة المعصومين صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين.. و نحنُ هكذا نُخاطبهم في الزيارة الجامعة الكبيرة «وذلّ كلُّ شيء لكم».

فالأئمة مِن هذا الجانب في مقامٍ واحد، وفي مرتبةٍ واحدة.

أمّا الأحاديث الشريفة التي تأتي فتقول: إنّ الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه أكثرُ شَبَهاً برسول الله صلّى الله عليه وآله.. فهذهِ الأحاديث ناظرةٌ إلى بعْض المسائل العَرَضية (العَوارض..).

فهي ناظرةٌ إلى التكوين البدني لِجسم إمامنا الحسن صلوات الله وسلامه عليه، ناظرة إلى جمالِ وجههِ وإلى جمال خِلْقته.. وناظرةٌ إلى ما ظهَرَ مِن أخلاقه بين الناس

بحسب ما تُمليه الظُروف الزمانيّة آنذاك.. فالظروف الزمانيّة والمكانيّة تُملي على الإنسان نَوعاً من الأخلاق.

على سبيل المِثال: حينما يأتي عامُ المَجاعة، وتُسيطرُ المَجاعة على بلدٍ مِن البُلدان.. فإنّ الخُلُق الأكمل في مِثْل هذا الوَضْع هو خُلُق الجُود والكرم والإيثار والإطعام وإعانة الناس في هذه المجاعة.. هذا هو الخُلُق الذي يحتاجهُ الناس ويحتاجهُ المُجتمع في مثل هذهِ الظُروف.

وحينما تُسيطرُ الحُرُوب على مُجتمعٍ مِن المُجتمعات، فإنّ المُجتمع في هذهِ الأوضاع يحتاجُ إلى خُلُق الشَجاعة، خُلُق الإقدام، إلى خُلُق البأس والثبات وشدّة المُبارزة في الحرب.. هذا الخُلُق هو الذي يفرض نفسه، ويحتاجه المُجتمع.

وهكذا إذا ما سيطرتْ على المُجتمع حالة الجهل، فحَينئذٍ يحتاجُ المُجتمع إلى إبراز آداب التعلّم وإبراز خُلُق التعلّم وخُلُق التعليم.. وإذا سيطرت على المُجتمع حالةُ الفساد، وحالة الانكماش الروحي والخواء الروحي، فإنّ المُجتمع حينئذٍ يحتاج إلى مسائل الوعظ ومسائل الإرشاد ومسائل التهذيب الأخلاقي والحديث الروحاني.. وهذا يختلف باختلاف الأزمنة.

هذهِ الخِصال المَحمودة مَطلوبة في كلّ زمان وفي كلّ مكان.. ولكن يأتي أحياناً مقطعٌ زمانيٌ الناس يحتاجونَ فيه نوعاً مِن هذهِ الأخلاق بدرجةٍ أوسع وأكبر.

لذلك نجد أنّ أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كلّ إمام قد تميّز بخُلُق مُعيّن.

(وهذا لا يعني أنّ الأئمة الباقين لا يملكون هذا الخُلُق، ولا يعني أنّ ظُهور هذا الخُلُق في هذا الإمام المعصوم هو أكمل من ظهوره في الإمام الآخر) الأمر ليس كذلك.

التكامل الأخلاقي موجود في كلّ الأئمة بنحوٍ واحدٍ ومرتبةٍ واحدة.. فما لأوّلهم لآخرهم وما لآخرهم هو لأوّلهم كما ورد عنهم صلواتُ الله وسلامةُ عليهم أجمعين.

فالمعصومون صلواتُ الله وسلامةُ عليهم أجمعين هم الاسمُ الأعظم الأعظم الأعظم لله تعالى الذي تجلّتْ فيهِ كُلُّ صِفاتِ الجمال والجلال الإلهي.. فهم جميعاً أجملُ الجمال، وأجلّ الجلال وأكملُ الكمال.. كما نقرأ في دُعاء البهاء.. فجمالهم واحد، وكمالُهم واحد صلواتُ الله وسلامةُ عليهم أجمعين، لكنَّ الظُروفَ الزمانيّة قد تُملي على هذا الإمام أنْ يُبرزَ هَذا الخُلُق، وتُملي على الإمام الثاني أنْ يُبرز الخُلُق الآخر..

فهذهِ الخصلة التي عُرفتْ عن الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه خصلة الجُود والكرم والإطعام والعَطاء حَتَّى عُـرِف صلوات الله عليه بـ(كريم أهل البيت) لا تعني أنّ هذه الصفة ليست متوفّرةً في بقيّة الأئمة.. قطعاً الأمرُ ليس كذلك.

لكنَّ الظُروفَ التي عاشَ فيها إمامنا الحسن عليه السلام كانتْ تلك الأيّام أيّام فَقْر ومَجاعة وجَدب وأيّام حربٍ، لهذا كانتْ هذهِ الخصْلة ظاهرةً وواضحةً وبارزة في حياة الإمام صلوات الله وسلامه عليه.

وهكذا سائر الأخلاق وسائر الخصال الأُخرى التي ظهرتْ في أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. كخصلة كاظم الغيظ في إمامنا باب الحوائج موسى بن جعفر الكاظم صلوات الله وسلامه عليه.

فلم يكن إمامنا بابُ الحوائج صلوات الله وسلامه عليه مُتفرّداً لوحده بهذه الصفة.. كلُّ أئمتنا عليهم السلام كذلك، لكنَّ الظروف التي عاشها إمامنا باب الحوائج عليه السلام كانت تُعرّضه للمِحَن والقَوارع الشديدة والتي كان يُواجهها صلوات الله عليه بكظم الغيظ..

إذ كان صلوات الله عليه يُواجه حالات شديدة مِن الإهانة والإذلال وحالات شديدة من إساءة الأدب معه صلوات الله عليه (مِن الشيعة ومِن أعدائه) والحوادث في كُتب التاريخ مسطورة تُبيّن ذلك..

فكان الإمام صلوات الله عليه يُواجه هذه الحالات بهذا الخُلُق (خُلُق كظم الغيظ).. وإلّا فإنّ هذا الخُلُق حاصل وظاهر في حياة كلّ أئمتنا صلوات الله عليهم.

وهذا سارٍ بالنسبة لبقية الأئمة عليهم السلام.



عظمة
أمير المؤمنين عليه السلام

★ الشيخ فاضل الفراتي

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. [المائدة:٥٥]

اتّفق المفسّرون على أنّ هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «لَوْ أَنَّ الْغِيَاضَ أَقْلامٌ وَالْبَحْرَ مِدَادٌ وَالْجِنَّ حُسَّابٌ وَالإِنْسَ كُتَّابٌ مَا أَحْصَوْا فَضَائِلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب». (كنز الفوائد:١/٢٨٠).

وقال صلَّى الله عليه وآله: «إِنَّ اللهَ جَعَلَ لأَخِي عَلِيٍّ فَضَائِلَ لاَ تُحْصَى كَثْرَةً فَمَنْ ذَكَرَ فَضِيلَةً مِنْ فَضَائِلِهِ مُقِرّاً بِهَا غَفَرَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَمَنْ كَتَبَ فَضِيلَةً مِنْ فَضَائِلِهِ لَمْ تَزَلِ الْمَلاَئِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا بَقِيَ لِتِلْكَ الْكِتَابَةِ رَسْمٌ وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ غَفَرَ اللهُ الذُّنُوبَ الَّتِي اكْتَسَبَهَا بِالاسْتِمَاعِ وَمَنْ نَظَرَ إِلَى كِتَابٍ مِنْ فَضَائِلِهِ غَفَرَ اللهُ الذُّنُوبَ الَّتِي اكْتَسَبَهَا بِالنَّظَر». (نهج الحق وكشف الصدق:٢٣٢).

وقال صلَّى الله عليه وآله أيضاً: «لولا أنْ تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بملأ من المسلمين إلَّا وأخذوا تراب نعليك وفضل طهورك ويستشفون به». (المناقب:٧٦).

قيل في حقه عليه السلام

يقول الخليل بن أحمد البصري واضع علم العروض ومعلّم سيبويه في حقّ أمير المؤمنين عليٍّ عليه

السلام: (إنّ احتياج الكلِّ إليه واستغناؤه عن الكلّ، دليلٌ على أنّه إمام الكلّ). (عبقرية الإمام:١٣٨).

وسئل أيضاً: ما هو الدليل على أنّ علياً عليه السلام إمام الكلّ في الكلّ؟ فقال: احتياج الكلّ إليه وغناه عن الكلّ. (عبقرية الإمام:١٣٩).

يقول الفخر الرازي في باب تفسير سورة الفاتحة وقوله بالجهر وإقامة الأدلّـة على ذلـك: (فالدليل السابع: أنّ الدلائل العقليّة موافقة لنا، وعمل عليّ بن أبي طالب عليه السلام معنا، ومن اتّخذ علياً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه). (مفاتيح الغيب:١/١٦١).

يقول الشيخ ابن عربي: (فلم يكن أقرب قبولاً في ذلك الهباء إلّا حقيقة محمّد صلّى الله عليه وآله المسمّـاة بالعقل، وأقرب الناس إليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إمام العالم وسرّ الأنبياء المرسلين). (الفتوحات المكّية:١/١٣٢، الباب ٦).

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح قول أمير المؤمنين عليه السلام حول التمسّك بالأئمة الأطهار من آل محمّد صلوات الله عليهم حينما قال: «كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ وَأَعْلَامُ الدِّينِ وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ...». (نهج البلاغة:١٢٠).

فقال ابن أبي الحديد: («فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن» تحته سرّ عظيم، وذلك أنّه أمر المكلّفين بأنْ يجروا العترة في إجلالها وإعظامها والانقياد لها والطاعة لأوامرها مجرى القرآن؛ قال: فإنْ قلت: فهذا القول منه يشعر بـأنّ العترة معصومة، فما قول أصحابكم في ذلك؟ قلت: نصّ أبو محمّد بن مثنويه في كتاب الكفاية على أنّ علياً معصوم، وأدلّة النصوص قد دلّت على عصمته وأنّ ذلك أمر اختصّ هو به دون غيره من الصحابة). (الأسرار الفاطمية:١٩٧).

هـذه بعض النصوص الـدالّـة على عظمة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعلوّ مقامه وشموخه.

هذا وقيمة المرء ما يحسنه من المعرفة، وأعلى المعارف وأزكاها معرفة الله بأنْ يعرف الإنسان ربّه، وأنفعها معرفة النفس، فمن عرف نفسه فقد عرف ربّه.

فالمعرفة نور القلب وبنيان النبل وبرهان الفضل والفوز بالقدس والحكمة والخير الكثير وميراث التقوى وثمرة الصدق، ومن عرف دلّته معرفته على العمل، وأفضلكم أفضلكم معرفة. (ميزان الحكمة:٦/١٣٠).

فقيمة الإنسان في الدنيا والآخرة إنّما هي بمقدار معرفته، والمعرفة كلّي مشكّك له مراتب طوليّة وعرضيّة، وقد قسّموها إلى ثلاث:

١. المعرفة البرهانيّة: والتي تكون بالدليل العقلي.

٢. المعرفة الإيمانيّة: والتي تكون بالدليل النقلي من الكتاب والسنّة.

٣. المعرفة الشهوديّة: والتي تكون بالإشراق والكشف والشهود بالقلب.

وبنظري هناك تقسيم آخر للمعرفة، وهو:

١. المعرفة الجلاليّة: وهي تعني معرفة الشيء في حدوده وشكله الهندسي كمعرفة الجبل من بعيد.

٢. المعرفة الجماليّة: وهي تعني معرفة الشيء في باطنه وجوهره، كمعرفة الجبل من قريب.

٣. المعرفة الكماليّة: وهي تعني الوقوف على هدف الشيء وغايته، كمعرفة الجبل لمن كان في قمّته.

وهذه الأقسام جارية في كلّ شيء، حتّى معرفة الله سبحانه وشريعته السمحاء.

فمن الناس من يعرف الله في جلاله، كنفي صفات النقص عنه كالجهل والعجز.

ومنهم من يعرف الله في جماله، وفـي صفاته الثبوتيّة كالعلم والقدرة.

ولا يعرف الله فـي كماله إلّا رسـول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما أبد الآبدين، كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: «يَا عَلِيُّ مَا عَرَفَ اللهَ إِلاَّ أَنَا وَأَنْتَ، وَمَا عَرَفَنِي إِلاَّ اللهُ وَأَنْتَ، وَمَا عَرَفَكَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَا». (مختصر البصائر:٣٣٦).

وأمّـا معرفة الشريعة: فتارةً يعرفها الإنسان في حدودها وأحكامها، فهذه معرفة بجلال الشريعة.

وأُخـرى يقف على أسـرارهـا وحِكمها، فهذه من المعرفة بجمال الشريعة.

وثالثةً يقف على كُنهها وغاياتها، فهذه من المعرفة بكمال الشريعة.

وهـذا جـارٍ في معرفة أهل البيت عليهم السلام وسيّدهم أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، فكلّ الناس يعرفونهم بمعرفة جلاليّة، كما ورد في زيارة الجامعة الكبيرة عن الإمام الهادي عليه السلام: «... فَبَلَغَ اللهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِينَ وَأَعْلَى مَنَازِلِ

الْمُقَرَّبِينَ وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ حَيْثُ لاَ يَلْحَقُهُ لاَحِقٌ وَلاَ يَفُوقُهُ فَائِقٌ وَلاَ يَسْبِقُهُ سَابِقٌ وَلاَ يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ حَتَّى لاَ يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلاَ صِدِّيقٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَلاَ عَالِمٌ وَلاَ جَاهِلٌ وَلاَ دَنِيٌّ وَلاَ فَاضِلٌ وَلاَ مُؤْمِنٌ صَالِحٌ وَلاَ فَاجِرٌ طَالِحٌ وَلاَ جَبَّارٌ عَنِيدٌ وَلاَ شَيْطَانٌ مَرِيدٌ وَلاَ خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ إِلاَّ عَرَّفَهُمْ جَلاَلَةَ أَمْرِكُمْ وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ وَتَمَامَ نُورِكُمْ وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ وَكَرَامَتَكُمْ عَلَيْهِ وَخَاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْه». (من لا يحضره الفقيه:٢/٦١٤).

فما من عالم ولا جاهل ولا دنيّ ووضيع ولا فاضل وشريف ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح إلّا وعرف الأئمّة الأطهار عليهم السلام بمعرفة جلاليّة، بأنّهم الصفوة وأنّهم يجلّون عن الشين والنقائص، ولا يقاس بهم أحد.

وهذا يقرّ به الموافق والمخالف، والفضل ما شهدت به الأعداء، فأعداؤهم يشهدون بعلوّ درجاتهم وشموخ مقامهم وأنّهم يمتازون عن باقي البشر في تجلّي أسماء الله فيهم.

وهناك معرفة جماليّة لأهل البيت عليهم السلام، يقف عليها أمثال سلمان المحمّدي رضوان الله عليه، فإنّه يعرف من جمال أمير المؤمنين ما لا يعرفه أبو ذرّ، مع أنّ التفاوت بينهما في الإيمان بدرجة واحدة، فعند سلمان عشر درجات، ولكنْ مع هذا لو علم أبو ذرّ ما في قلب سلمان لكفّره ولقال رحم الله قاتل سلمان، فالدرجة الواحدة سعتها ما بين الكفر والإيمان، ما بين السماوات والأرض.

وأمّا المعرفة الكماليّة لأمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام فيدلّ عليه ما يقال عن الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله: «يا علي... وَمَا عَرَفَكَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَا».

فلا يعرف إلّا الله ورسوله سرّ السرّ في أسرار سرّ الوجود وقطب دائرة الإمكان، ونقطة باء البسملة، ومركز العوالم بعد رسول الله، الذي اشتُقّ اسمه المبارك من العليّ الأعلى، ونوره الأقدس من النور المحمّدي الأنور، فبلغ العلى بكماله، وكشف الدجى بجماله، حسُنت جميع خصاله، فهدى الورى بجلاله، صلّوا عليه وعلى ابن عمّه وآله.

فعليٌّ عليه السلام بشر، لكن تجلّى فيه ربّه وظهر، ومن أبى فقد كفر، فإنّه الإنسان الكامل الذي تجلّت فيه أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، فكان مظهراً للتوحيد، كما كان فيه خلاصة النبوّة وعصارة الولاية، وكلّ ما يقال في فضائله ومكارمه وعلوّ مقاماته فإنّه لم يبلغ عشر المعشار.

فعليٌّ وليّ الله وحجّته على خلقه وخليفة رسوله وسيّد أوصيائه، تجلّت فيه أسماء ربّه، وحمل جميع أوصاف النبيّ صلَّى الله عليه وآله من علومه ومعارفه وأسراره المودعة فيه سوى النبوّة والرسالة، فهو الداعي والهادي إلى سواء السبيل، وهو الواسطة المختارة بعد رسول الله في إيصال الفيض الإلهي إلى العباد، وهو النهج المستقيم والمنهاج القويم والنبأ العظيم، عنده علم الكتاب وفصل الخطاب: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. [النحل:٤٣]

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلَّى الله عليه وآله فَقَالَ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ، وَإِلَى نُوحٍ فِي سِلْمِهِ، وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي حِلْمِهِ، وَإِلَى مُوسَى فِي فِطَانَتِهِ، وَإِلَى دَاوُدَ فِي زُهْدِهِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»، قَالَ: فَنَظَرْنَا فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَدْ أَقْبَلَ كَأَنَّمَا يَنْحَدِرُ مِنْ صَبَبٍ. (كمال الدين:١/٢٦. تاريخ ابن عساكر:٢/٢٨٠).

فأمير المؤمنين عليه السلام يمثّل الأنبياء في علومهم وصفاتهم كما هو مظهر أسماء الله وصفاته، وأنّه جامع الفضائل والمكارم ولا يمكن لأحد سوى الله ورسوله أنْ يحصي فضائله ومناقبه وآثاره.

وإنّ الأعداء قد كتموا فضائله حنقاً وبغضاً، والأحبّاء أخفوها خوفاً وتقيّةً، ومع هذا فقد ملأت فضائله الخافقين.

وسعادة الدنيا والآخرة والنجاة إنّما يكون في متابعته وقبول ولايته العظمى، فهو الصراط المستقيم: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾. [المؤمنون:٧٤].

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «إِنَّ فِي كُلِّ خَلَفٍ مِنْ أُمَّتِي عَدْلاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَنْفِي عَنْ هَذَا الدِّينِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ وَإِنَّ أَئِمَّتَكُمْ قَادَتُكُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَانْظُرُوا بِمَنْ تَقْتَدُونَ فِي دِينِكُمْ وَصَلاَتِكُمْ». (كمال الدين وتمام النعمة:١/٢٢١). وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾. [الإسراء:٧١].



وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ أَيْنَ خَلِيفَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ فَيَقُومُ دَاوُدُ النَّبِيُّ عليه السلام فَيَأْتِي النِّدَاءُ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَسْنَا إِيَّاكَ أَرَدْنَا وَإِنْ كُنْتَ للهِ خَلِيفَةً ثُمَّ يُنَادِي ثَانِيَةً أَيْنَ خَلِيفَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ فَيَقُومُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَيَأْتِي النِّدَاءُ مِنْ قِبَلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ خَلِيفَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ وَحُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ فَمَنْ تَعَلَّقَ بِحَبْلِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَلْيَتَعَلَّقْ بِحَبْلِهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ لِيَسْتَضِيءَ بِنُورِهِ وَلِيَتَّبِعَهُ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجِنَانِ قَالَ: فَيَقُومُ أُنَاسٌ قَدْ تَعَلَّقُوا بِحَبْلِهِ فِي الدُّنْيَا فَيَتَّبِعُونَهُ إِلَى الْجَنَّةِ ثُمَّ يَأْتِي النِّدَاءُ مِنْ عِنْدِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ أَلَا مَنِ ائْتَمَّ بِإِمَامٍ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَلْيَتَّبِعْهُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ وَيَذْهَبُ بِهِ فَحِينَئِذٍ يَتَبَرَّأُ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ * وَقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنَّا كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ». (أمالي المفيد:٢٨٥).

وقال الإمام الحسين عليه السلام في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾: «إِمَامٌ دَعَا إِلَى هُدًى فَأَجَابُوهُ إِلَيْهِ وَإِمَامٌ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ فَأَجَابُوهُ إِلَيْهَا هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾. (أمالي الصدوق:١٥٣).

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «مَنْ مَاتَ لَا يَعْرِفُ إِمَامَهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». (المحاسن:١/٩٢).

وهذا الحديث متّفق عليه عند الخاصة والعامة، وهي من الروايات المستفيضة في هذا الباب.

فعلى كلِّ مسلم إلى يوم القيامة أنْ يعرف إمام زمانه حقّ المعرفة؛ والإمامة الحقّة والوصاية الصحيحة والحاكميّة الثابتة إنّما هي بنصّ من الله ورسوله، ولا مجال للناس فيها أبداً.

ومن هذا المنطلق نصّ الله في كتابه الكريم ورسوله في مواطن كثيرة على الأئمة الأطهار والخلفاء الأخيار من بعده كما في حديث الثقلين والسفينة والدار وغيرها المئات والأُلوف، وكما في آية المودّة والولاية والتطهير والمباهلة وغيرها العشرات والمئات، وهل بعد الحقّ إلّا الضلال.

وقد صنّف العلماء الأعلام من كلِّ الفرق والمذاهب وبلغات كثيرة على مرّ العصور والأحقاب في فضائل أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم الطيّبة، ولاسيّما في مناقب وعظمة أمير المؤمنين وإمام المتّقين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.



حب علي عليه السلام أوّل النعم

* الاستاذ مهدي احمد السعدي

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: «من أصبح يجد برد حبنا على قلبه فليحمد الله على بادئ النعم»، قيل: وما بادئ النعم؟ قال: «طيب المولد». (بحار الأنوار:٢٧/١٤٦).

و(برد حبنا) أي لذّته وراحته.

وعن المفضل قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول لأصحابه: «من وجد برد حبنا على قلبه فليكثر الدعاء لأُمِّه فإنَّها لم تخن أباه). (بحار الأنوار:٢٧/١٤٦)

وقال العلامة الحلّي رحمه الله: كان لأبي دلف ولد، فتحاوره أصحابه في حبّ عليٍ بن أبي طالب عليه السلام وبغضه، فروى بعضهم عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: «يا عليٌّ! لا يحبك إلَّا مؤمن تقي، ولا يبغضك إلَّا ولد زنية أو حيضة». فقال ولد أبي دلف: ما تقولون في الأمير؟ هل يؤتى في أهله؟ فقالوا: لا. فقال: والله إنّي لأشدّ النّاس بغضاً لعليٍّ بن أبي طالب. فخرج أبوه وهمَّ في التشاجر. فقال: والله، إنّ الخبر لحق، والله إنّه لولد زنية وحيضة معاً، إنّي كنت مريضاً في دار أخي في حمى ثلاث، فدخلت علَيّ جارية لقضاء حاجة، فدعتني نفسي إليها، فأبت وقالت: إنّي حائض، فكابرتها على نفسها فوطئتها، فحملت بهذا الولد، فهو لزنية وحيضة معاً). (مستدرك سفينة البحار:٤/٣٠٣)

وقال الحلي: وحكى والدي رضي الله عنه قال: اجتزت يوماً في دروب بغداد مع أصحابي، فأصابني عطش، فقلت لبعض أصحابي: أطلب ماءً ووقفت أنا وباقي أصحابي ننتظر الماء، وصبيان يلعبان، أحدهما يقول: الإمام هو عليٌّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، والآخر يقول: إنَّه أبو بكر. فقلت صدق النبيٌّ صلَّى الله عليه وآله: «يا علي! لا يحبك إلَّا مؤمن، ولا يبغضك إلَّا ولد حيضة»، فخرجت المرأة بالماء، فقالت: بالله، يا سيدي! أسمعني ما قلت. فقلت: حديث رويته عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا حاجة إلى ذكره، فكررت السؤال، فرويته لها، فقالت: والله، يا سيدي! إنّه لخبر صدق، إنّ هذين ولداي، الذي يحب علياً ولد طهر، والذي يبغضه حملته في الحيض، جاء والده إليّ فكابرني على نفسي حالة الحيض، فنال مني فحملت بهذا الذي يبغض علياً. (بحار الأنوار:٣٩/٢٨٧)

ورد في كتاب (نور الأبصار) للشبلنجي الشافعي: روي أنَّ محمداً الباقر عليه السلام سأل جابر بن عبد الله الأنصاري، لمّا دخل عليه عن عائشة وما جرى بينها وبين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقال له جابر: دخلت عليها يوماً وقلت لها: ما تقولين في عليّ بن أبي طالب؟ فأطرقت رأسها ثمّ رفعته، وقالت:

إذا ما التِّبر حُكّ على مَحكٍّ
تبيَّن غشّه من غير شكّ

وفينا الغشّ والذهب المُصفّى
وعليٌّ بيننا شِبه المَحكّ

وقال صفي الدين الحلي:

أَمِـيـرَ الـمُـؤمِـنـيـنَ أَراكَ إِمّـا
ذَكَـرتُـكَ عِـنـدِ ذي حَـسـبٍ صَـغـا لي
وَإِن كَـــرَّرتُ ذِكـــرَكَ عِـنـدَ نَـغـلٍ
تَـكَـدَّرَ سِـــتـرُهُ وَبَـغـى قِـتـالـي
فَـصِـرتُ إِذا شَـكَـكـتُ بِـأَصـلِ مَـرءٍ
ذَكَـرتُـكَ بِـالـجَـمـيـلِ مِـنَ الـمَـقـالِ
فَـلَـيـسَ يُـطـيـقُ سَـمـعَ ثَـنـاكَ إِلّا
كَـريـمُ الأَصـــلِ مَـحـمـودُ الـخِـصـالِ
فَـهـا أَنـا قَـد خَـبَـرتُ بِـكَ الـبَـرايـا
فَـأَنـتَ مَـحَـكٌّ أَولادِ الـحَـلالِ

وقيل في حق أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام:

حـــبُّ الـنـبـيّ مـحـمـد ووصـيـه
ينبئك عـن وضـعـي وطـيـب المولد
مــن طـــاب مــولــده وصــح ولاده
صــحَّــت ولايـــتـــه لآل مـحـمـد

وقال الصاحب بن عباد وهو أحد شعراء أهل البيت قصيدة في حبِ أمير المؤمنين عليه السلام مطلعها:

لا عـــذبَ اللهُ أُمّـــي إنّـهـا شَـربـتْ
حـــبَ الـوصـي وغـذتـنـيـه بـالـلـبـنِ
وكـــانَ لـي والـــدٌ يـهـوى أبـا حسنٍ
فصرتُ من ذي وذا أهوى أبا حسن ِ

حيث قام عدد من الشعراء بتخميس هذين البيتين المشهورين وهنا سوف نعرض بعض التخميسات:

قال الشيخ فرج العمران:

حب الـوصي بمكـنـون الـفـؤاد ثـبـت
ولـحـم جسمي عليه قـد نما ونبت
وفي عروقي جرى حتى ارتوت وربت
لا عـذب الله أُمّـــي إنـّها شربت
حـبَّ الـــوصـي وغـذتنيه باللبنِ
شـربـتـه سـلـسـبـيـلاً سـائـغـاً وهني
طـفـلاً رضـيـعـاً بـثـدي الأُمّ فـي لبني
حتى قويت ومنه قد نما بدني
وكـــان لـي والـــدٌ يـهـوى أبـا حسنٍ
فصرت من ذي وذا أهـوى أبـا حسنِ

وقيل أيضاً:

نفسي على ذكر اسم المرتضى طربت
وفـي سفينة أهـل البيت قـد ركبت
هويتي (عـلـوي النهج) قد كـتـبـت
(لا عـذب الله أُمّـي إنـّها شـــربت)
(فصرتُ من ذي وذا أهوى أبا حسنِ)
رضعت من ثديها ردحـاً من الزمن ِ
حتى نما حب داحـي الباب في بدني
لله من حـرةٍ طـابـت ومـن لـبـن ِ
وكـان لـي والـدٌ يـهوى أبـا حسنِ
فصرت من ذي وذا أهوى أبا حسنِ

وقيل:

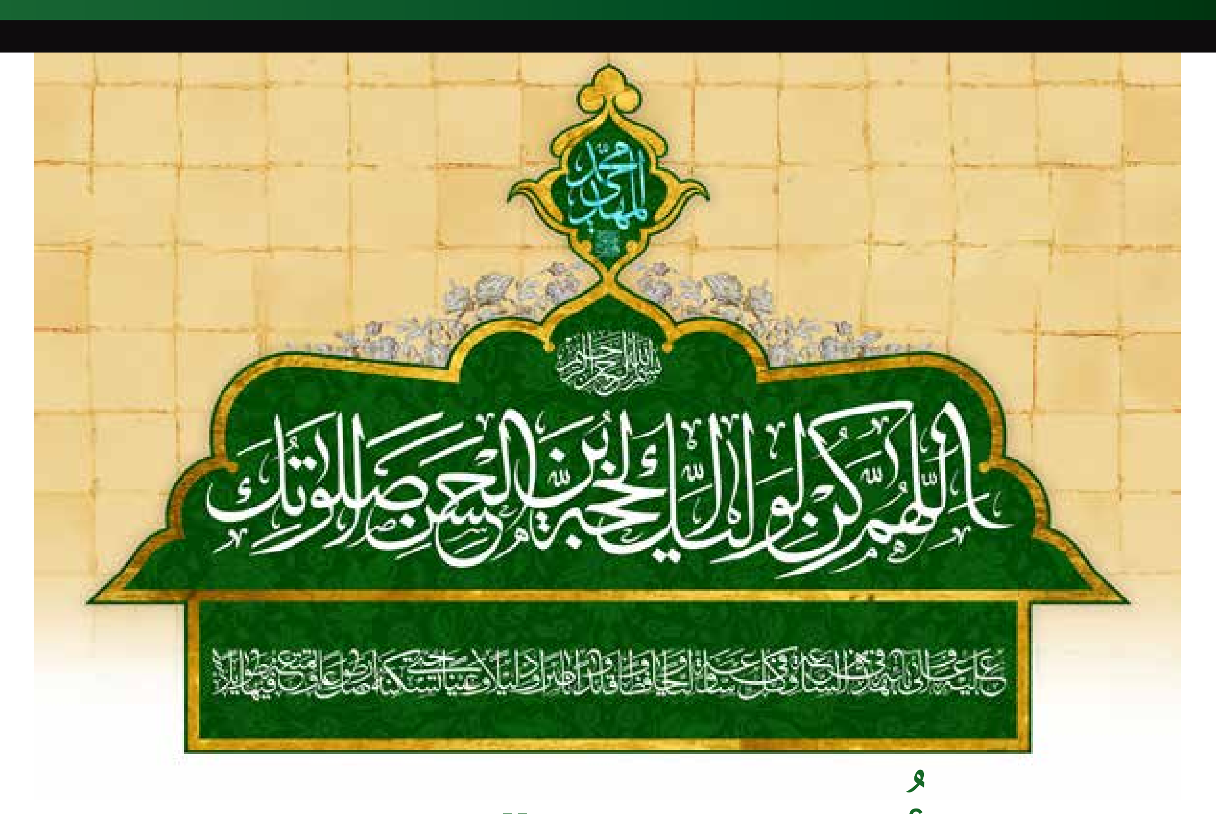
أُمّـي الحنون وكم في حملها تعبت
وكـم لـيـالٍ لـهـا مـا عينها هجعت
فصرت أدعـو لها ما شمسنا طلعت
(لا عـذب الله أُمـّـي إنـّـها شربت)
(فصرتُ من ذي وذا أهوى أبا حسنِ)
كـانت لحب بني الـزهـراء ترشدني
وعـن محبة غـيـر الآل تـبعدني
وكـان كـأس الـولا مـن صدرها لبني
(وكــان لـي والــدٌ يـهـوى أبـا حسن ِ)

وقيل:

لا عـــذّب الله أُمـيّـي إنـّـهـا شربتْ
كأساً من الـحـبّ يجلو سائر الحزنِ
وأرشـفـتـنـي جـزاهـا الله مـغـفـرةً
حـبّ الـــوصـي وغـذتنيهِ باللبن
وكـــان لـي والـــدٌ يـهـوى أبـا حسنٍ
أخـا الـنـبـيّ وصـهـراً خـيـر مؤتمن
وقـد حـبـانـي ولاءً لـسـت أتـركـهُ
فصرتُ من ذي وذا أهـوى أبا حسنِ

وقال الدّر العاملي:

مـودَّةُ المرتضى في الـروحُ قد سُكِبتْ
فـإنْ غزَتها جـيـوشُ الـهـمِّ واكتأبتْ
إلـى مديحِ وصـيّ المصطفى هربتْ
لا عـــذَّب الله أُمّـــي إنَّـهـا شـربـتْ
حبَّ الوصيّ وغذّتنيهِ بالّلبنِ
كـانت تـهـزُّ سـريـري وهـي تُنشدُني
مـدحَ الـوصـيّ وكـم قـد كـان يُطربني
ما زلـتُ أسمعها واللحنُ في أُذُنـي
(وكـان لـي والـدٌ يـهـوى أبـا حـسـنِ)
(فصرتُ من ذي وذا أهوى أبا حسنِ)



الأُصول العامة للفهم الرمزي في روايات الظهور

* الشيخ عبد الرحمن العقيلي

روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده (قال أبي رحمه الله: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، قال: حدثنا أحمد بن محمد، عن عليّ بن الحكم، عن فضيل، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه الصّلاة والسلام قال: قال لي: «يا أبا عبيدة إيّاك وأصحاب الخصومات والكذّابين علينا فإنّهم تركوا ما أُمروا بعلمه وتكلفوا علم السماء، يا أبا عبيدة خالقوا الناس بأخلاقهم وزايلوهم بأعمالهم، إنَّا لا نعدّ الرجل فينا عاقلاً حتى يعرف لحن القول»، ثم قرأ هذه الآية ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد/٣٠]). (التوحيد:٤٥٨)

إنّ هذا الحديث يشير إلى حقيقة مهمة، وهي أنّ الذي يستطيع أنْ يفهم حديث المعصومين عليهم السلام لا يعدّ فقيهاً حتى يفهم إشاراتهم وتلميحاتهم وبواطن أخبارهم، وليس الفقيه كلَّ من نقل الحديث، إذ إنّ رواة العلم إلى ما شاء الله لا يمكننا عدّهم ولا إحصاءهم، أمّا من يعي العلم فهو القليل، قال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: «اعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوه عَقْلَ رِعَايَةٍ لاَ عَقْلَ رِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ورُعَاتَه قَلِيلٌ». (نهج البلاغة:٤٨٥. وج٢، ص٢٣٢).

فالمسألة ليست بالنقل فقط، وإنْ كان النّقل ودقَّته مُهمّاً، ولكنَّ الجزء الأكبر من الأهمية تقع على الفهم الصحيح من السقيم.

لذا فعندما نواجه العدد الكبير من أخبار الظهور - ولكون الظهور المقدس من علامات الساعة تكون علامات الظهور متاخمة لعلامات الساعة وجزءاً منها - وهي كما قيل أكثر من خمسة آلاف رواية نجد أنّ الإبهام يغلف الكثير منها، ولا تستطيع أنْ تجد مصداقاً واحداً من الممكن أنْ ينطبق على بعضها حتى تؤدي هذه المرويات الغرض من وجودها.

فالمفروض أنّ وجود آلاف المرويات عن أمر واحد يجعل هذا الأمر من الأهمية بمكان، وإلاّ فَلِمَ يترك لنا النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام كلَّ هذا الإرث من المرويات؟!

والعجيب من بعض إخواننا أنْ يتجاهلوا كلَّ ما

يكتب في هذا المجال، بل ويتجاهلون كلَّ ما نقل عن المعصومين عليهم السلام في هذا المجال وكأنّه لا فائدة منه، بحجج واهية ويشتغلون بغيره زهداً فيه، وتقليلاً لأهميته!!

وكأنّ الدنيا ليست بمزرعة للآخرة، وكأنّ انتظار الظهور ومعرفة حيثياته وعلائمه لا يستحق صرف بعض الوقت للوقوف على ما تركه لنا المعصومون عليهم أفضل الصلاة والسلام.

إنّ لكلِّ أمر روحي وغيبي مقدمات يجب أنْ تتم وتترسّخ في النفس حتى تعطي الناتج بقدر هذا الرسوخ والإيمان، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾.[الفتح/١٨]

فلمّا علم الله ما في قلوب هؤلاء أنزل سكينته عليهم ورزقهم بالفتح، والله لا يعلم عن جهل وحاشاه عن ذلك.

ولكنَّ الله يُظهر للإنسان المستقيم، والمؤمن، الصلب العقيدة، أنَّ مساره بات راسخاً على الطريق الصحيح، ولهذا يعطيه الله علامات الرضا والقبول، ومن هذه العلامات: اليقين، إذ يكون صاحب الاستقامة الخالية من الشوائب الدنيوية صاحب يقين في ما غاب عنه، لكونه قد سلّم لأصحاب هذا الغيب ما غاب عنه، إنّ الله سبحانه مدح المتقين فقال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾. [البقرة/٣]

فالإيمان بالغيب شرط أساس لمن كان يرجو انتظار الظهور المقدس حتى لقد وُصف الانتظار في الروايات بكونه من أكثر الأعمال ثواباً مع أنّه ليس بعمل كباقي الأعمال الظاهرية!!

روى الشيخ الكليني رضوان الله تعالى عليه: (عن عبد الله بن بكير عن رجل، عن أبي جعفر عليه الصّلاة والسلام قال: دخلنا عليه جماعة، فقلنا: يابن رسول الله إنّا نريد العراق فأوصنا، فقال أبو جعفر عليه الصلاة والسلام: «لِيُقَوِّ شديدُكُم ضَعيفَكُمْ، وَلْيَعُدْ غَنِيُّكُمْ على فقيرِكُم، ولا تَبُثُّوا سِرَّنا، ولا تُذيعوا أمْرَنا، وإذا جاءَكُم عَنّا حديثٌ فوَجَدْتُم علَيْهِ شاهِداً أَوْ شاهِدَيْنِ مِنْ كِتابِ الله فَخُذوا به، وإلاّ فَقِفوا عِنْدَهُ، ثُمَّ رُدُّوهُ إلينا حتَّى يَسْتَبينَ لكم. واعْلَموا أنَّ المُنْتَظِرَ لهذا الأمرِ لهُ مِثْلُ أَجْرِ الصّائِمِ القائِمِ، وَمَنْ أَدْرَكَ قائِمَنا فَخَرَجَ مَعَهُ فَقَتَلَ عَدُوَّنا كانَ له مِثْلُ أجْرِ عشْرينَ شهيداً، وَمَنْ قُتِلَ مَعَ قائِمنا كان له مِثْلُ أَجْرِ خمسَةٍ وعشرينَ شهيداً»). (الكافي الشريف:٢/٢٢٢)

فما هذا الانتظار الذي له أجر الصيام والقيام؟! مع أنّه (انتظار) وليس هو عمل يتطلب الجهد العضلي كالصلاة، إذ إنّ أعمالها تتطلب ذلك، ولا الجهد الوظيفي وقوة الإرادة كما في الصيام، إذ إنّه يتطلب ذلك؟!

إنّنا قد لا نفهم ذلك بتمامه إلّا باستغفار النبيّ صلَّى الله عليه وآله لأوس بن حارثة، والذي قيل بأنّه مات قبل مبعث النبيّ صلَّى الله عليه وآله بثلاثمئة عام! إذ إنّ أوساً هذا أوصى أهله باتباع النبيّ صلَّى الله عليه وآله لو ظهر في أرض العرب، وهو القائل:

إذا بُعث المبعوث من آل غالبٍ
بمكة فيما بين زمزم والحجرِ
هنالك فأشروا نصرهُ ببلادكُم
بني عامر إنَّ السعادة في النصرِ

وفيه يقول النبيّ صلَّى الله عليه وآله: «رحم الله أوساً مات في الحنفية وحثّ على نصرتنا في الجاهلية». (مناقب أمير المؤمنين عليه السلام للكوفي:١/٢٣)

فهذا الرجل لم يدرك النّبيّ لكنَّه آمن به قبل مبعثه، وقال الشعر في نصره والحثّ عليه ووطّن نفسه على ذلك لولا الموت، فهو كان منتظراً انتظاراً استحق الرحمة عليه.

وهكذا يجب أنْ يكون الانتظار والمنتظر، وليس هو كلام يقال، ومن أراد الانتظار فيجب أنْ يثبت لنفسه قبل غيره ذلك حتى يعلم الله منه ذلك لا غيره!

وليسأل نفسه: كيف ينتظر؟ وما الآليات لذلك؟ وكيف ينصر الإمام قبل خروجه وبعد خروجه؟ وهل يملك المُنتظِر أنْ ينصر من نصره الله؟ وهل يعرف شيئاً عن الإمام ممّا تركه لنا المعصومون؟ وهل يساوي هذا العلم شيئاً من مقدار تَرِكَةِ المعصومين بشأن الإمام؟ وكيف يقوم باستدراك ذلك؟ وبمن يستعين؟ وما مقدار التضحيات التي من الممكن أنْ يبذلها لو قُدّرت له نصرة الإمام؟ وهل أنَّ مسار حياته في الغيبة يثبت له ولو جُزئيّاً أنّه قادر على التضحية وبدون تردد عند الظهور؟ وهل هو على المستوى المطلوب من الوعي لينجو من الدعاوى الضالة التي ستتوالى قبل الظهور؟!

إنّ المنعطفات الفكرية التي ستمر بها الشيعة عبر التاريخ ابتداءً من الغيبة الصغرى، هدفها واحد وهو (تكامل المخلصين)، فالذين فشلوا في اختبار التعرف والثبات على الإمام في القرن الثالث الهجري يجب أنْ يكونوا عبرة لمن يأتي بعدهم في القرن الرابع الهجري، لكنَّ ذلك لم يحدث للجميع!

إذ ظهرت دعاوى ضالة بعد ذلك وصدق بها الناس، واستمر ذلك حتى الوقت الحاضر.

قال الإمام الصادق عليه السلام: « وَاللهِ لَتُكَسَّرُنَّ تَكَسُّرَ الزُّجَاجِ، وَإِنَّ الزُّجَاجَ لَيُعَادُ فَيَعُودُ كَمَا كَانَ وَاللهِ لَتُكَسَّرُنَّ تَكَسُّرَ الفَخَّارِ، فَإِنَّ الفَخَّارَ لَيَتَكَسَّرُ فَلَا يَعُودُ كَمَا كَانَ وَوَاللهِ لَتُغَرْبَلُنَّ وَوَاللهِ لَتُمَيَّزُنَّ وَوَاللهِ لَتُمَحَّصُنَّ حَتَّى لا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلّا الأَقَلُّ، وَصَعَّرَ كَفَّهُ». (الغيبة للنعماني:٢١٥)

إنّ هذا الحديث يقف بالضدّ من مقولة (إنّ التاريخ يعيد نفسه) فالتاريخ لا يعيد نفسه أبداً بل هو في تجدد، لكنَّ الناس لا تتّعظ، فمِن نِعَم الله علينا أنّ التجارب تتشابه ولا تعاد؛ لذا فانكسار الزجاج لو عاد كما كان والفخار المتكسر لو عاد كما كان فلا يمكن أنْ يعاد المجتمع كما كان، لكون التطور حاكماً على المجتمع من حيث يعلم أو لا يعلم، ولا نقصد بالتطور كلَّ شيء إيجابي بل هو يشمل الإيجابي والسلبي سواء، وهنا يكون الثواب العظيم.

فلو كان الإنسان ذا قلب سليم لما انكسر أمام الضالين، فالقلب السليم هو الأساس في الهداية، فإنَّ الأرض القابلة للزراعة والعطاء يقال عنها: أرض زراعية، حتى ولو لم تُزرع فعلاً، بخلاف الأرض السبخة غير القابلة للعطاء، فإنّها لا يلتفت لها أحد لكونهم يعلمون مسبقاً بأنَّها لا يمكن أنْ تعطي شيئاً، فلا يقومون بزراعتها وسقيها ولا ينتظرون منها شيئاً.

وهنا المشكلة، فيجب على الأرض الزراعية أنْ تُزرع بما يفيد الناس لا أنْ تُستغل بزراعة الشوك، فالنفوس القابلة للزيادة من العلم والوعي والهداية لا يمكن أنْ نسمح بتطرق الضلال ووسوسة المضلين إليها، وهذا يكمن في سلامة القلب ومستوى الوعي وإصلاح النفس.

ومن الأُمور التي باتت تمثل خطراً على المجتمع اليوم هو الفهم المطلق للنصوص، وأقصد بالفهم المطلق للنصوص هو ألّا تكون هناك أية قواعد لغوية أو عرفية أو أي علائق تربط اللفظ بالمعنى، وهنا يكمن خطر انقطاع النصوص عن جذورها التي قنتّها، وسوف يسهل على كلِّ من يريد أنْ يبتكر أيَّ فكرة أنْ يلوي أعناق النصوص لتوائم فكرته مهما كانت خطرة!!

إذ إنَّ فهم أيِّ حديث من خلال ما يسمى بـ(الفهم الرمزي) يؤدي إلى أنْ يقول كلُّ من يشاء ما يشاء ليؤيد فكرة معينة قد تكون متسقة مع القواعد العقدية العامة وقد لا تكون كذلك.

والفهم الرمزي للمرويّات هو فهم يخالف ظواهر الألفاظ إلى بواطن لها تربطها بالظاهر علاقات معنوية، مثال ذلك أنْ تفهم مصطلح (الدجال) على أنَّه ليس شخصاً معيناً في الخارج يظهر في يوم معين فيفعل الأفاعيل التي وردت عنه في الأخبار، وإنَّما هو حركة فكرية لها تطبيقات مادية يقوم بها قوم دجالون (أي مموّهون) يؤدي فعلهم إلى كلِّ ما قيل عن فعل الدجال.

فهذا هو الفهم الرمزي والذي نرى الكثير من المؤلفين قد استعمله في مؤلفات عديدة موجودة الآن قد يكون القسم الأكبر منها تابعاً للحركات المنحرفة عقدياً.

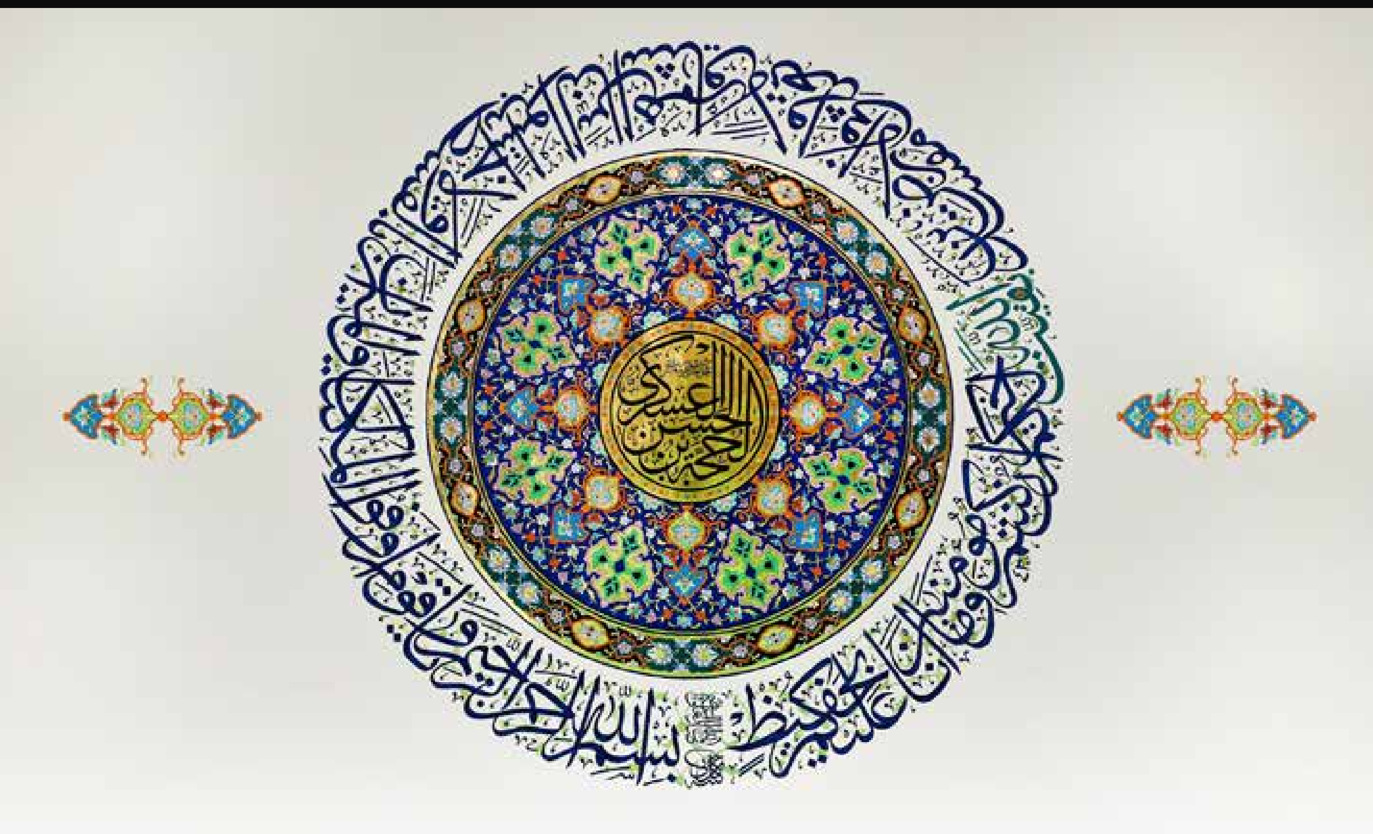
والخطير في هذا الفهم أنَّه ليس له ضوابط معينة يتبعها الباحث ونواهٍ معينة يتجافاها ليحذر السقوط في الحرمات، فكلُّ من استعمل الفهم الرمزي للمرويات لم يذكر ضوابط له ممّا قد يُفهم منه فتح الباب على مصراعيه لكلِّ من يريد أنْ يفهم هذا الفهم وهنا ستكون مهاوي الضلال فاتحة ثغرها لتلتهم البسطاء ومُخَدَّري التفكير من الذين ذهبت بألبابهم المصطلحات المعسولة والأسماء الكبيرة.

وهؤلاء المتمسكون بفكرة (الفهم الرمزي) للروايات لم يكلفوا أنفسهم السؤال: لو كان الفهم الرمزي للأخبار والروايات قائماً على ساق، وبدون أية ضوابط وقوانين فلماذا كانت المعاني توضع للألفاظ أصلاً؟!

ومن النتائج الواضحة لهذا السلوك بشكله الشائع اليوم هي عدم القدرة على إقامة الحجة على العباد، لا بالقرآن ولا بالسنّة ولا بغيرهما.

فالحكمة من كون اللغة هي طريقة التواصل أنْ يفهم المتلقي ماذا يريد القائل، فإذا كان هناك من له القدرة على أنْ يقول إنَّه قادر على أنْ يفهم من النصوص ما شاء من دون قيود فما قيمة اللغة التي لا تمتلك أي طريقة للتواصل بين القائل والمتلقي؟! ولماذا تُستعمل أصلاً؟!

لذا فسنقوم بمحاولة تقنين للأُصول العامة لعملية الفهم الرمزي ووضعها في حجمها الطبيعي، وذلك استقراءً لما كتب فيها، وانتقاء الصالح فيها من الطالح، حتى يكون الفهم الرمزي للأخبار مفيداً في زمانه ومكانه الصحيحين، ولا يحدث بذلك أية فوضى في حال استعماله.



قصائد من وحي الانتظار

حاول الشاعر في هذه القصيدة تسليط الاهتمام على قضايا الأُمَّة الإسلامية والأحداث والتطورات الجارية فقال:

شَوقاً إليكَ وفي يَمينِكَ بَيرَقُ ... ومَنازِلُ الدُّنيا بوَجهِكَ تُشرِقُ
يا أيها (المَهديُّ) يا بنَ محمدٍ ... يا مَنْ بنَهجِكَ سُؤْلُنا يتَحقَّقُ
بكَ نستغيثُ فقد سَئِمْنا فُرقَةً ... نرجُو الوِفاقَ ومَنْ سِواكَ يُوَفِّقُ
ولَطالما خُضنا المصاعِبَ جمَّةً ... فمضاربٌ تُفنى وأُخرى تُحرَقُ
والطارئونَ طغَوا بكلِّ وقاحةٍ ... وشُعُوبُنا بِـ»السامريَّةِ» تُسحَقُ
طالَ الدَّمارُ قلوبَنا وعقُولَنا ... والفازِعُونَ مُغرِّبٌ ومُشَرِّقُ
وقوافلُ الشرفاءِ تطلُبُ قائداً ... يَهدي إلى العَلياءِ وهو مُصَدَّقُ
لا ينثني أبداً ويَقْدُمُ زحْفَهُمْ ... سِبْطَاً وكلُّ جِهادِهِ يَتَفَوَّقُ
فازَ الذينَ تحَلَّقُوا بلِوائهِ ... مُتآزِرينَ هُدىً ولم يَتَفرَّقُوا
أَقبِلْ إمامَ العصرِ أَصْلِحْ حالَنا ... واْغمُرْ تَصحُّرَنا بِغَيْثٍ يُورِقُ
فنُفُوسُنا عَطشى سِقايةِ صالِحٍ ... مِنْ مَنهلٍ طُهْرٍ بِما يتَدَفَّقُ
مِنْ نَبْعِ أحمدَ إذْ يَفِيضُ مَعِينُهُ ... بِهُدَى الإمامةِ سائغاً نَتَذَوَّقُ
تاللهِ ما فَرَجٌ يَفُكُّ قُيُودنا ... إلّا إمامٌ بالعدالَةِ يَفْرُقُ
هوَ خِيرَةُ الهادي ونُورُ هدايةٍ ... وبَقيَّةُ اللهِ الإمامُ المُشفِقُ
فازَ المطيعُ لهُ بكُلِّ تواضُعٍ ... خابَ المُعانِدُ أمرَهُ المُتشَدِّقُ
يا حبَّذا يَومَ الظُهُورِ مفازَةً ... من مِارقِينَ تَزمَّتُوا وتَهَرْطَقُوا
سنظلُّ ندعُو اللهَ جلَّ جلالُهُ ... فَرَجَاً لآلِ مُحمدٍ يَتحَقَّقُ
بِظُهُورِ قائدِنا وصاحِبِ أَمْرِنا ... فَخْرِ الإمامةِ مَنْ لَهُ نتشَوَّقُ
صَلُّوا على الهادي البشيرِ وآلِهِ ... فصَلاتُكُمْ لاْبنِ البتولِ تَتَوُّقُ

بقلم: حميد حلمي







أسلوب الكتمان ودوره في بلوغ المأرب داخل المجتمع

(عهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٢٥٤ ـ ٢٦٠هـ أنموذجاً)

* د. خديجة حسن علي القصير

يعد الحديث عن سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام ذا أهمية لأنها تعدّ الأساس القويم للبناء الفكري والمنهج السلوكي للمجتمع الإسلامي باعتبارهم الامتداد الحقيقي لنهج النبوة وسيرتها المعطاء والحماة الأمناء لمفاهيم الرسالة وعقائدها.

أورثوا الأمة من بعدهم إلى جانب كنوز العلم تلك السيرة النيرة التي لا تزال تدعونا إلى الفضيلة والهدى، فمن خلال سيرتهم نتواصل مع القدوة الحسنة بكل تجلياتها الروحية والفكرية والعلمية، لذلك فنحن عندما ندرس سيرتهم وبحسب التنوع الحاصل في طبيعة المرحلة والظروف السياسية المحيطة بقيادتهم عليهم السلام للامة ما يجعلنا نتواصل مع مختلف المواقف والظروف نحو هدف أسمى وهو حفظ كتاب الله وسنة النبي المصطفى صل الله عليه وآله وطلب الإصلاح والهداية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي ورقة العل هذه سوف نوضح مدى تأثير سياستهم عليهم السلام على منهج حياتنا بكل تفاصيله فهي بمثابة دروس تطبيقية لواقعنا وارتأينا هنا أن نتناول ما انتهجه الإمام الحسن العسكري عليه السلام من سياسة الكتمان والسرية في الاتصال بشيعته كوسيلة لمنع تفاقم المشاكل الاسرية التي تصيب أغلب فئات مجتمعنا باعتبار إننا إذا أردنا أن نحل مشكلة ما لابد أن نمنع هذه المشكلة من التفاقم ومنعها من التفاقم إنما يتم من خلال كتمان المشكلة واختصارها على أفراد الأسرة وعدم تطورها إلى خارج نطاق الأسرة لأن أي مشكلة إذا تعدد الأطـراف في إيجاد حلول لها وشاركوا أصحابها في الرأي تفسد وإنما لابد من السير على مبدأ الاحتواء الأسري قدر الإمكان للمشكلة.

تساؤلات

يتمحور المقال حول الإجابة عن مسائل مهمّة تكمن في العلاقة فيما بين الأسرة والمجتمع منها ما يلي:

- ما هو فن الاحتواء للمشكلة؟



هل بالإمكان اتخاذ الكتمان بوصفه وسيلة لاحتواء المشاكل الأسرية؟

كيف تستطيع الأسرة تطبيق مبدأ احتواء المشكلة وعدم إطلاقها للخارج؟

ما هي مميزات الأشخاص الذين تختارهم الأسرة لمساعدتها في حل المشكلة؟

هدف المقال

تهدف الدراسة إلى:

- توضيح أهمية احتواء المشاكل الأسرية.
- توضيح الدور الذي تلعبه سياسة الكتمان في الحد من المشكلات الأسرية.

كما هو معروف إنّ الأنبياء وأوصياؤهم كانوا يقودون عمليات التغيير وثورات الإصلاح بكل أبعادها الثقافية والتربوية كتزكية النفس ونشر الدعوة وتكوين تجمع إيماني وتنظيم علاقات أفراده فالرسول محمد صل الله عليه وآله تولى إصلاح المجتمع المكي من كافة الشوائب العالقة فيه والتي هي في أصلها تراكمات مجتمعية سببها طبيعة البيئة التي كانت تعيشها قريش قبل الإسلام والإمام علي ابن أبي طالب عليهما السلام كذلك تبنى سياسة الإصلاح وساهم فيها مساهمة فاعلة سواء في فترة حكم أبي بكر وعمر وعثمان أو عندما تولى هو عليه السلام الخلافة.

واستمرت هذه السياسة الإصلاحية التي عدت ديدن الأئمة عليهم السلام، وقد ركّز الإمام الحسين عليه السلام في حركته الإصلاحية على هذا الموضوع ورد في كتابه الشريف إلى أخيه محمد بن الحنفية قوله: «هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب، إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية، أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأنّ الجنّة والنّار حق، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وإنّي لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي محمد صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدُي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين. هذه وصيتي يا أخي إليك، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب».(نفس المهموم:٧٥)

فكان من أهداف الأئمة عليهم السلام هو الإصلاح في الأمة والأمر بالعروف والنهي عن المنكر، كما وردت في جميع زياراتهم الشريفة عليهم أفضل الصلاة والسلام، وها هو الإمام الحسن العسكري عليه السلام إنّما يجسد هذه السياسة حقّ التجسيد في نشر مذهب التشيع.

والسؤال الذي يراود الأذهان: كيف كان عليه السلام يدير شؤون الشيعة وهو وتحت مراقبة عساكر بني العباس الشديدة؟

الجواب: للإجابة على هذا السؤال لابد من الإشارة إلى أنّ طابع الحياة التي عاشها الإمام عليه السلام في فترة حكم بني العباس والتي اتسمت بطابع السرية المطلقة ليس خوفاً من الطغاة وإنّما كإجراء احتياطي للمستقبل والمتغيرات التي تحكمه وكمنهج لتربية الناس فيما بعد على الحقائق الكبرى التي لا يحتمل قلب أغلب الناس ثقلها.

الخـوف من المعـرفة والمعلومات الجديدة

* صفوان ضياء قاسم

(epistemophobia) أو الخوف من المعرفة ورفض كلِّ ما هو جديد.

فمن خلال استقراء التاريخ في ماضيه وحاضره وربما في مستقبله، نرى تأصّل ظاهرة معاداة التجديد.

فنبصر السمة الغالبة على أكثر المجتمعات والأغلب في المجتمع الواحد أنّه يرفض بل ويحارب كلَّ من يحاول أنْ يأتي بشيء جديد على المستوى الفكري أو التطبيقي في شتى المجالات.

مع غضّ النظر عن كون ما يأتي به المجدد إيجابياً أو سلبياً، فترى أفكاره ونظرياته تجابه بردود فعل عنيفة تستهدف القضاء عليها، ثم بعد مضي مدّة من الزمن ترى المجتمع نفسه الذي حارب هذه الأفكار يمجد ويعظم هذه الأفكار وصاحبها ويدعو لتطبيقها، وغالبا ما يكون هذا التمجيد بعد خسران المجتمع لذلك المجدد، وهذا ما رأيناه بدءاً بأصحاب الرسالات وانتهاءً إلى المفكرين والمصلحين.

وحتى على مستوى الاحتياجات المادية ترى المجتمع ينبذ الصناعات والمبتكرات الجديدة ويتمسك بما هو قديم.

فهل أنّ هذه الحالة تكوينية في الإنسان؟ وهل هي صحيحة وحسنة في المجتمع؟ وهل من احتمال لتجاوز الإنسان هذه الحالة ويكسب الوقت الذي يضيعه في رفض التجديد؟



(إبيستموفوبيا (epistemophobia)) فهو خوف عميق مستمرّ على غير أساس من واقع الخطر أو التهديد من موقف ما أو شيء معيّن.

فالخوف من المعرفة والمعلومات الجديدة هو أنْ يخشى الإنسان من اهتزاز الأرضية المعرفية التي يستند عليها (في معظم الحالات دينية) فيصاب برعب من المعلومات الجديدة، وكلّ ما يمثلها مع غرابتها إلّا أنّها شائعة، خصوصاً بالمجتمعات الدينية المتشددة، حيث يتم قمع من يسأل أو يناقش منذ الطفولة (بسبب جهل الكبار عادة)، فيكبر الطفل وتكبر معه هذه التساؤلات.

لو لاحظنا ردّة فعل الناس سنجد أنّ (٧٥٪) منهم مصابون بالخوف من المعرفة، ويتفاوت درجة مرضهم النفسي هذا بتفاوت ردّة فعلهم.

فبعض الأحيان نلاحظ ردّة فعل الناس لمعلومة غريبة وكلّما كانت ردّة فعلهم حادّة كلّما كانوا أكثر مرضاً.

فردّة الفعل العنيفة تعني وجود صراع داخلي، أمّا الاستهزاء فهو يدل على تطور الحالة إلى الاستسلام وجلد الذات.

المرحلة المذمومة في القرآن

ومرحلة (الاكتفاء بالمخزون القديم من المعلومات) و(الانغلاق الفكري) مرحلة مذمومة بالقرآن يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾.[الأنفال/٢٢]

فوصف المنغلقين فكرياً بأنّهم شرّ الدواب (الحيوانات).

وقوله تعالى: ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾.[النحل/٧٠]

فيصف المرحلة العمرية التي يتوقف فيها الإنسان عن التعلم بـ(أرذل العمر).

والدين يشجّع على التّفكر الحر ولا يذمه مهما اتسع، فعندما سأل نبي الله إبراهيم على نبيّنا وآله وعليه السلام ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ [البقرة/٢٦٠]، وكذلك عندما طلب نبيُّ الله موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف/١٤٣]، فلم يؤنّبهما الله تعالى، بل أجابهما بتجربة عملية، وهي الطريقة المثلى للتعامل مع الأسئلة الوجودية.

فقال لإبراهيم على نبيّنا وآله وعليه السلام ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ وهذا السؤال هو ليس من باب الشك، ﴿ قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾، بل هو من باب الزيادة في اليقين ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.[البقرة/٢٦٠]

عن أَحْمَد بْن مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ الْبَرْقِيٍّ:عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ الصّلاة والسّلامُ عَنْ قَوْلِ اللهِ لِإِبْرَاهِيمَ: ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ أَكَانَ فِي قَلْبِهِ شَكٌّ؟ قَالَ عليه الصّلاة والسلام: «لَا، كَانَ عَلَى يَقِينٍ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ مِنَ اللهِ الزِّيَادَةَ فِي يَقِينِهِ». (المحاسن:٢٤٧)

ورد في تفسير الْعَيَّاشِيِّ: عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فِي قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ على نبيّنا وآله وعَلَيْهِ السَّلاَمُ: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «لَمَّا رَأَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، رَأَى رَجُلاً يَزْنِي، فَدَعَا عَلَيْهِ فَمَاتَ، ثُمَّ رَأَى آخَرَ، فَدَعَا عَلَيْهِ فَمَاتَ، حَتَّى رَأَى ثَلاَثَةً، فَدَعَا عَلَيْهِمْ فَمَاتُوا؛ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنْ - يَا إِبْرَاهِيمُ - إِنَّ دَعْوَتَكَ مُجَابَةٌ، فَلاَ تَدْعُ عَلَى عِبَادِي، فَإِنِّي لَوْ شِئْتُ لَمْ أَخْلُقْهُمْ، إِنِّي خَلَقْتُ خَلْقِي عَلَى ثَلاَثَةِ أَصْنَافٍ: عَبْداً يَعْبُدُنِي وَلاَ يُشْرِكُ بِي شَيْئاً فَأُثِيبُهُ، وَعَبْداً يَعْبُدُ غَيْرِي فَلَنْ يَفُوتَنِي، وَعَبْداً يَعْبُدُ غَيْرِي فَأُخْرِجُ مِنْ صُلْبِهِ مَنْ يَعْبُدُنِي. ثُمَّ الْتَفَتَ فَرَأَى جِيفَةً عَلَى سَاحِلٍ، بَعْضُهَا فِي الْمَاءِ، وَبَعْضُهَا فِي الْبَرِّ، تَجِيءُ سِبَاعُ الْبَحْرِ فَتَأْكُلُ مَا فِي الْمَاءِ، ثُمَّ تَرْجِعُ فَيَشُدُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَيَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَتَجِيءُ سِبَاعُ الْبَرِّ فَتَأْكُلُ مِنْهَا، فَيَشُدُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَيَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضاً. فَعِنْدَ ذَلِكَ تَعَجَّبَ مِمَّا رَأَى، وَقَالَ: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ قَالَ: كَيْفَ تُخْرِجُ مَا تَنَاسَخَ! هَذِهِ أُمَمٌ أَكَلَ بَعْضُهَا بَعْضاً. قَالَ: ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ ؟ قَالَ: ﴿ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ يَعْنِي حَتَّى أَرَى هَذَا كَمَا أَرَانِي اللهُ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا. قَالَ: فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ تُقَطِّعُهُنَّ وَتَخْلُطُهُنَّ، كَمَا أَخْلَطْتُ هَذِهِ الْجِيفَةَ فِي هَذِهِ السِّبَاعِ الَّتِي أَكَلَتْ بَعْضُهَا بَعْضاً ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً، فَلَمَّا دَعَاهُنَّ أَجَبْنَهُ، وَكَانَتِ الْجِبَالُ عَشَرَةً». (تفسير العياشي:١/٤٦٩)

وورد في كتاب الكافي الشريف عن مُحَمَّد بْن يَعْقُوب: عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى الْعَبْدِ الصَّالِحِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أُخْبِرُهُ أَنِّي شَاكٌّ، وَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ على نبيّنا وآله وعَلَيْهِ السَّلاَمُ: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾

فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تُرِيَنِي شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ. فَكَتَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَيْهِ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ مُؤْمِناً وَأَحَبَّ أَنْ يَزْدَادَ إِيمَاناً، وَأَنْتَ شَاكٌّ وَالشَّاكُّ لَا خَيْرَ فِيهِ». وَكَتَبَ إِلَيْهِ: «إِنَّمَا الشَّكُّ مَا لَمْ يَأْتِ الْيَقِينُ، فَإِذَا جَاءَ الْيَقِينُ لَمْ يَجُزِ الشَّكُّ». وَكَتَبَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿ما وَجَدْنا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ﴾ - قَالَ - نَزَلَتْ فِي الشَّاكِّ». (الكافي الشريف للكليني: ج٢، ص٢٩٣)

الخوف من المعرفة

هناك عدة أسباب ولّدت حالة الخوف من المعرفة والتجدّد أهم هذه الأسباب ما يلي:

أولاً: الاعتياد النفسي

إنّ النفس إن اعتادت شيئاً صعب إقلاعها عنه إلى شيء جديد. حيث إنّ الاعتياد غالباً يولد تعلّق بالشيء يصعب مع هذه العُلقة التجرد والتخلي عن ذلك الشيء.

ثانياً: الاستقرار

فإنّ من طبع الإنسان حبُّ الاستقرار والبقاء على حالة واحدة، فهو عدو لكلِّ ما يزلزل هذا الاستقرار، فَطرأ الأفكار الجديدة يوجب على الإنسان هدم استقراره والكون في حالة عدم الاستقرار للانتقال من حالة إلى أُخرى، ثم يبدأ الاستقرار على الحالة الجديدة

ثالثاً: التكاسل عن فهم ما هو جديد

فيدفع هذا التكاسل الإنسان إلى الإدبار عن كلِّ ما يتطلب منه جهداً سواء في فهمه أو تطبيقه.

رابعاً: الخوف

فإنّ الفرد وبعده المجتمع يخشى كلَّ ما هو جديد، وهذه الخشية منبعها احتمال فقدان القديم وعدم ارتقاء الجديد إلى مستوى فائدة القديم، فيخشى من كون الجديد أدنى مرتبة من القديم وأقل جدوى، فيكون معتقده (قديم تعرفه خير من جديد تجهله).

خامساً: النظر الخاطئ

النظر الخاطئ إلى أنّ كلَّ جديد هو هادم ومقوض وليس مشيّداً وبانياً.

فيعدّ المجتمع أنَّ الآتي يُهدد ما هو عليه من الأُسس القديمة، فيحاول إبعاد هذا الجديد بأيِّ شكل ممكن.

هذه ربما الأسباب الأبرز لنبذ التجديد والمجددين ومعاداتهم.

وهذا الرفض بدوره يخلف أضراراً فادحة بالمجتمع - وطبعاً كلامنا عن التجديد الإيجابي والإصلاحي.

الأضرار المحتملة

إنّ أبرز الأضرار المترتبة على رفض التجديد هي ما يلي:

أولاً: تخلف المجتمع عن مستوى الرقي المرسوم له

فإنّ مجيء الشخص المجدد أو الأفكار التجديدية لا يمكن أنْ تأتي في غير وقتها، إنَّما جاءت في وقتها حسب نظام الترقي المتسلسل، فعدم اعتناء المجتمع بالمجدد أو الأفكار والنظريات التجديدية يؤدي إلى تخلف المجتمع وتأخره عن بلوغ ما يراد منه.

ثانياً: حرمان العقل من الرّقي

حرمان العقل من أفكار ونظريات وتصورات توسع بدورها المدارك العقلية وتنقل العقل إلى مستوى جديد ربما تتغير فيه مقاييسه وتُعدل زاوية النظر لديه.

ثالثاً: المجتمع المتأخر

إنَّ المجتمع الذي يعادي ويضيق على قواده وأعني المجددين، سيكون متأخراً رتبة عن المجتمعات الأُخرى، وطبيعة الترتب المجتمعي أنَّ المجتمع المتأخر يكون مَقوداً للمجتمع المتقدم وليس في مصاف المجتمعات القائدة.

رابعاً: قتل الأفكار في صدور أصحابها

إنَّ المجتمع الذي اعتاد محاربة المجددين سوف يثبط همّة كلِّ من يروم التجديد، فتموت الأفكار في صدور أصحابها ويحرم المجتمع من فوائد هذه الأفكار والنظريات.

خامساً: عدم التمسّك بالنظم والنظريات القديمة

إنَّ الأفكار والقيم والنظم والنظريات القديمة التي يتمسك بها المجتمع ليست خالدة ولا ينبغي لها ذلك بحسب نظام ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾.

فإنَّ الأفكار والأنظمة والنظريات لها أجل محتوم وعمر لا تتعداه، فتمرُّ بفترة النشأة ثم البلوغ ثم الكهولة ثم الموت.

فعدم قبول الأفكار الجديدة مع موت الأفكار والمعتقدات القديمة ولو تدريجاً، يجعل المجتمع مواتاً لتمسكه بميت أو على الأقلّ لأنَّه يُقاد من قِبل ميت.

هذه ربما أهم وأكبر الأضرار التي تصيب الأفراد والمجتمعات التي تأبى التجديد والنابذة لأهله.

لكنَّ الإنسان بما وهبه مبدعه عزَّ اسمه من القدرة غير المحدودة يستطيع تجنب هذه الأخطار عبر إيجاد العلاج الناجح لهذا المرض.



العلاج المقترح

لسدِّ هذا النقص وتلافي أضراره نذكر ما يلي:

أولاً: عدم التقديس للكلِّ

التخلي عن نظرة التقديس لكلِّ قديم إلَّا ما كان مقدّساً فعلاً، فإنّ رفع الأفكار والنظريات القديمة إلى مرتبة القداسة يجعل لها حصانة مانعة عن كلِّ تغيير.

فيلزم أنْ تكون معاملة الأفكار القديمة بمستوى الأفكار الجديدة إنْ لم تكن بمستوى أدنى.

ثانياً: تقييم الفكرة بقدر العطاء

تقييم الفكرة أو النظرية أو المعتقد بقيمة ما يعطيه، وعلى قيمة عطائه يكون بقاؤه، وليس ثمة فكرة لا نهائية العطاء إلَّا ما كانت صادرة ممّن هو لا نهائي وقاصد بقاءها إلى ما لا نهاية.

ثالثاً: دراسة الأفكار والنظريات قبل الحكم عليها

دراسة الأفكار والنظريات الجديدة وحتى شخصياتها دراسة منصفة معتدلة قبل الحكم عليها.

رابعاً: الأخذ بالاعتبار أنّ كلَّ نظرية أو فكرة جديدة ليست بالضرورة هدّامة

التخلي أو على الأقلّ تسقيط النظرة العملية المبتنية على أنَّ كلَّ جديد هو هدّام وليس بنّاء، بل يُعامل كلُّ جديد على أنَّه ربما يكون تماماً وكمالاً لما سبق وإن اقتضى إزالة بعض الأُسس التي أثبتت عدم ملائمتها للمرحلة.

خامساً: اليقين بقاعدة البقاء

اليقين بقاعدة البقاء وأعني المسطورة في قوله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾.[الرعد/١٧]

وهي قاعدة عمّت كلَّ القوانين والأنظمة الكونية والتشريعية السماوية والأرضية.

فإنَّ الاعتقاد العملي بهذه القاعدة يزيل مخاوفنا من زوال ما هو مفيد ويذيب الخشية من التجديد.

فإنّ كلَّ فكرة أو معتقد أو نظرية خاضعة لقانون تمحيص الأفكار، فإنْ كانت متلائمة وأُسس النظام العام بقيت وثبتت وإلَّا زالت، ويُقرّر عمرها على أساس عطائها للنظام.

سادساً: المقارنة العقلية

المقارنة العقلية القائمة على أُسس شرعية بين الأفكار والنظريات القديمة وبين الجديدة، فإنْ حوت الأفكار الجديدة على عطاء أوسع وأشمل للمجتمع أو الفرد من الأفكار القديمة قُدّمت وأُخرت القديمة.

إنّ المسير على هذه الخطوات سيجنب لو بمقدار قليل الفرد والمجتمع ويبعده عن الوقوع بالظلم الأكبر وهو ظلم المجدد وظلم المجتمع بحرمانه من استحقاقه وظلم النظام الإلهي.

إذن لا خوف من المعرفة، ولا خوف من المعلومات الحديثة والتجديد في إطار شرعي.

بل التطوّر والتجدد ضمن الإطار الشرعي يصبّ في مصلحة الإنسان.





من هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

* الشيخ إبراهيم الأميني

تعدّ الطريقة التي يتمّ فيها انتخاب الإمام من أقدم المسائل التي أثارت جدلاً في الأوساط الإسلامية، وهي المسألة التي انشعب عندها الصرح الإسلامي إلى فرقتين شيعة وسنّة.

فالعقيدة الإمامية ترى أنّ مسألة الإمامة غاية في الحساسيّة والأهمية وأنّه ليس من حقّ الإرادة البشرية التدخّل في ذلك؛ وأنّ الله عزّ وجلَّ هو ينتخب الإمام من خلال رسوله صلَّى الله عليه واله وسلم.

وإنّ من صفات الإمام العصمة عن الذنب والخطأ والنسيان والغفلة وكلّ ما يعتور التفكير والسلوك البشري من شوائب.

ومن صفاته أنْ يكون عالماً بالشريعة علماً شمولياً محيطاً بأحكامها ودقائقها.

وفي ضوء العقيدة الإمامية يكون اختيار الإمام حقّاً لمن كان عالماً عين العلم وليس أحد سوى الله عزّ وجلَّ يعلم ذلك، لأنّه وحده الذي يعرف الأعماق

وهو وحده علاّم الغيوب محيط بما خلق.

فمن أين للناس ذلك العلم الذي يحيط بسريرة الإمام ويعرف منزلته الشامخة؛ فالناس لا يرون سوى ظاهر من القول والفعل وما أكثر الذين يظهرون بوجه لمّاع برّاق ظاهره الصلاح وباطنه من قبله الفساد.

فأمامنا ثلاث طرق يتمّ بموجبها معرفة الإمام:

أولاً: اختياره من لدن الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم لأنّه على ارتباط بالغيب ولا ينطق عن الهوى إنْ هو إلاّ وحي يوحى.

ثانياً: من ثبتت إمامته من قبل فيختار الإمام الذي يليه.

ثالثاً: الإتيان بمعجزة وعمل خارق من شأنه إثبات إمامته وعصمته.

آراء أبناء العامة في انتخاب الخليفة

أمّا آراء أهل السنّة في انتخاب الخليفة فهي تجعل ذلك حقّاً للأُمّة إضافة إلى طرق أُخرى.

فهم يستلهمون مجمل آرائهم من خلال إضفاء الشرعية الكاملة على كلِّ الحوادث التي أعقبت رحيل النبيّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله والطريقة التي حسمت بموجبها مسألة الخلافة على الرغم من حدّة التناقضات التي حصلت فيها.

١. الإجماع

وهي إحدى الطرق التي يتم من خلالها تعيين وانتخاب شخص للخلافة ويكون واجب الطاعة ودليل الناس في ذلك ما حصل بعد استشهاد النبيّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

فقد اجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة واتجهت الأبصار إلى أبي بكر فرأوه أصلح الصحابة للخلافة فبايعوه، وإذن فإجماع الصحابة يضفي الشرعية على انتخاب خليفة رسول الله صلَّى الله عليه وآله.

وهنا يرد إشكالٌ حول مسألة الإجماع، لأنَّ منطق الحقائق يقول إنَّ المسلمين لم يجمعوا على بيعة أبي بكر وانتخابه للخلافة، فهناك فريق من الصحابة ناهض البيعة وامتنع عن المبايعة؛ إذن فالإجماع منتفٍ هنا.

ويفرّ البعض من مواجهة هذا الإشكال من خلال القول بأنّه لا ضرورة لحضور المسلمين جميعاً من أجل حصول الإجماع، بل إنّ أهل الحلّ والعقد خبراء في ذلك ينوبون المسلمين في هذه المهمة، ولقد حصل ذلك في بيعة أبي بكر أيضاً.

وتمادى آخرون بقولهم لو أنَّ شخصاً واحداً من أولئك بايع فرداً للخلافة توجب على الجميع الاقتداء به، لأنَّ عمر لمّا بايع أبا بكر بايع سائر المسلمين اقتداءً به.

ويعترض الشيعة الإمامية على الطريقة التي تمّ من خلالها انتخاب أبي بكر للخلافة وأنّها تفتقد إلى الشرعية للأسباب التالية:

أ: العصمة

هناك ضرورة لتوفّر العصمة في الإمام أو الخليفة بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله، إذ يتوجب على الإمام أنْ يكون معصوماً من الخطأ منزهاً عن الذنب، عالماً بالشريعة محيطاً بأحكامها.

إذن اختيار شخص غير معصوم ومن لا يعلم بالشريعة ولا يكون محيطاً بالأوامر الإلهية والأحكام النبوية غير لائق، ولا يمكن قبول خليفة كهذا.

وفرد كهذا لا يتمّ إلاّ ممن هو عالم بظاهره وباطنه وهو الله عزّ وجل وأن لا دخل للأمة في مسألة الاختيار، فالله سبحانه وتعالى الذي اصطفى الرسالة يصطفي للإمامة أيضاً.

ب: اقتصر الإجماع على أفراد معدودة

إنّ طريقة انتخاب أبي بكر لا تترجم حالة الإجماع أبداً ولا تعبّر عن إرادة عامة للمسلمين، فلقد اقتصر اجتماع السقيفة على أفراد معدودين، إضافة إلى ما رافقه من ملابسات عديدة؛ حتى لقد فوجئ فريق كبير من الصحابة بنتائج الاجتماع، بل وامتنع بعض ممن شارك في مداولات الاجتماع عن البيعة، إلاّ بالقوة.

روى الصدوق رحمه الله في الخصال بسنده عن عثمان بن المغيرة، عن زيد بن وهب قال: كان الذين أنكروا على أبي بكر جلوسه في الخلافة، وتقدُّمَه على عليّ بن أبي طالب عليه السلام اثني عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار؛ وكان من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن الأسود، وأُبي بن كعب، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن مسعود، وبريدة الأسلمي.

وكان من الأنصار: خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو الهيثم بن التيهان، وغيرهم.

فلما صعد - أبو بكر - المنبر تشاوروا بينهم في أمره، فقال بعضهم: هلا نأتيه فننزله عن منبر رسول

الله صلَّى الله عليه وآله؛ وقال آخرون: إنْ فعلتم ذلك أعنتم على أنفسكم وقال الله عزّ وجلَّ: ﴿... وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ...﴾.[البقرة/٢]

ولكن امضوا بنا إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام نستشيره ونستطلع أمره.

فأتوا علياً عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين ضيعت نفسك وتركت حقاً أنت أولى به، وقد أردنا أنْ نأتي الرجل فننزله عن منبر رسول الله صلَّى الله عليه وآله فإنَّ الحق حقك، وأنت أَولى بالأمر منه، فكرهنا أنْ ننزله من دون مشاورتك.

فقال لهم عليٌّ عليه السلام: «لو فعلتم ذلك ما كنتم إلَّا حرباً لهم ولا كنتم إلَّا كالكحل في العين أو كالملح في الزاد، وقد اتفقت عليه الأُمَّة التاركة لقول نبيها، والكاذبة على ربّها، ولقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلَّا السكوت لما تعلمون من وَغر صدور القوم وبغضهم لله عزَّ وجلَّ ولأهل بيت نبيه صلَّى الله عليه وآله وإنَّهم يطالبون بثارات الجاهلية.. والله لو فعلتم ذلك لشهروا سيوفهم مستعدين للحرب والقتال، كما فعلوا ذلك حتى قهروني وغلبوني على نفسي ولببوني، وقالوا لي: بايع وإلَّا قتلناك، فلم أجد حيلة إلَّا أنْ أدفع القوم عن نفسي، وذاك أنّي ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليٌّ إنَّ القوم نقضوا أمرك واستبدوا بها دونك وعصوني فيك، فعليك بالصبر حتى ينزل الأمر، ألا وإنَّهم سيغدرون بك لا محالة، فلا تجعل لهم سبيلاً إلى إذلالك وسفك دمك، فإنَّ الأُمَّة ستغدر بك بعدي! كذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام عن ربّي تبارك وتعالى.. ولكن ائتوا الرجل فأخبروه بما سمعتم من نبيكم ولا تجعلوه في الشبهة من أمره ليكون ذلك أعظم للحجة عليه، وأبلغ في عقوبته إذا أتى ربَّه وقد عصى نبيه وخالف أمره!... ». (الخصال للشيخ الصدوق: ٤٦١).

إذن فهناك قطاع مهم من الصحابة رفض البيعة لأبي بكر وفي طليعتهم عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام، والعباس بن عبد المطلب، وسلمان الفارسي، والمقداد، وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن عباس، وسعد بن عبادة، وأبو سفيان، والحباب بن المنذر، والزبير، والفضل بن عباس، وقيس بن أسعد، وأسامة بن زيد، وخالد بن سعيد، وبريدة الأسلمي، وعمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت، وأبو أيوب الأنصاري، وعمرو بن سعيد، وعبد الله بن مسعود، وعثمان بن حنيف، وأُبي بن كعب وآخرون؛ فأين هو الإجماع يا ترى؟ (تاريخ اليعقوبي: ١٢٤/٢).

ج: لا يوجد دليل على حجية بيعة بعض من الناس

إنّ إجماعاً كهذا لا ينهضّ كدليل لحجّيته، لأنّ بيعة فرد واحد أو أكثر لا يلزم الآخرين بالبيعة؟ فما هو وجه الإلزام عند بيعة أهل الحل والعقد لغيرهم؟ وما هو موقفهم غير التسليم مضطرين.

يقول بعضهم بشرعية هذا الطريق وصحّة الطريقة لأنّ الأوّل تم انتخابه بها؛ وهذا استدلال على شرعية الطريقة من خلال ما وقع لا صحّة ما وقع من خلال شرعية الطريقة. ما هو الدليل يا ترى على حجّية هكذا إجماع؟! وكيف يمكن الاستدلال على حجية موقف عدّة من الصحابة غير المعصومين على غيرهم؟!

د: تأكيد النبيّ صلَّى الله عليه وآله في حياته على خلافة ووزارة عليٍ عليه السلام

إنّ التأمل في سيرة سيّدنا محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلم يكشف عن حرص الرسول البالغ واهتمامه الفائق بأمن الدولة الإسلامية ومستقبل المجتمع الإسلامي وسلامة الإسلام.

روى ابن عباس عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله أنّه قال لعليٍّ عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا إنَّك لست نبياً إنَّه لا ينبغي أنْ أذهب إلَّا وأنت خليفتي في كلِّ مؤمن من بعدي». (تخريج كتاب السنة للألباني: برقم ١١٨٨) وقيل إنّ إسناده حسن.

وجاء بلفظ آخر: عن الألباني في كتابه (ظلال الجنة): (أخرج البزار في مسنده بإسناد المصنف عن أحمد ثنا يحيى بن حماد به مطولاً وفيه قال: وخرج صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم بالناس في غزوة تبوك قال: فقال عليٌّ: «أخرج معك»؟ قال: فقال له نبيٌّ الله: «لا»، فبكى عليٌّ، فقال له: «أما ترضى أنْ تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّك لست بنبيٍّ إنّه لا ينبغي أنْ أذهب إلَّا وأنت خليفتي»، قال: وقال له رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلم: «أنت وليي في كلِّ مؤمن بعدي» الحديث وأخرجه الحاكم بطوله من طريق أحمد ثم قال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي). (ظلال الجنة للألباني:٢/٣٣٨).

ورد في حديث الدار عن محمّد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب، عن عبد الله بن عباس، عن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلَّى الله عليه واله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء/٢١٤] دعاني رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقال: يا علي، إنّ الله يأمرني أنْ أُنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنّي متى أُباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتُّ عليها، حتّى جاءني جبرئيل فقال لي: يا محمّد إلَّا تفعل ما تؤمر يعذّبك ربّك، فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رِجل شاة، واملأ لنا عسّاً من لبن، ثمّ اجمع لي بني عبد المطّلب حتّى أُبلّغهم ما أُمرت به. ففعلت ما أمرني به، ثمّ دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب. فلمّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعته، فجئتهم به، فلمّا وضعته، تناول رسول الله صلَّى الله عليه وآله جذبة من اللحم، فشقّها بأسنانه، ثمّ ألقاها في نواحي الصفحة، ثمّ قال: خذوا باسم الله، فأكل القوم حتّى ما لهم بشيء حاجة، وأيم الله إنْ كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم. ثمّ قال: اسقِ القوم، فجئتهم بذلك العس فشربوا حتّى رووا جميعاً، وأيم الله إنْ كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله. فلمّا أراد رسول الله أنْ يكلّمهم بدره أبو لهب فقال: سحركم صاحبكم، فتفرّق القوم ولم يكلّمهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله. فقال في الغد: يا عليٌّ، إنّ هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أنْ أُكلّمهم، فأعدَّ لنا من الطعام مثل ما صنعت ثمّ اجمعهم، ففعلت ثمّ جمعت، فدعاني بالطعام فقرّبته، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا وشربوا، ثمّ تكلّم رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقال: يا بني عبد المطّلب، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أنْ أدعوكم إليه، فأيّكم يوآزرني على أمري هذا ويكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً. فقلت وأنا أحدثهم سنّاً: يا نبيَّ الله، أكون وزيرك عليه. قال: فأخذ برقبتي وقال: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أنْ تسمع لعليٍّ وتطيع». (معالم التنزيل:٤/٢٧٨. حديث الدار للسيد علي الميلاني: ١٠-١١؛ الغدير للأميني: ٢/٢٨٣).

فهناك أحاديث كثيرة تثبت خلافة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام بالنّص الصريح من النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منها ما يلي:

١. قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السّلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنّه لا نبيّ بعدي». (صحيح البخاري:٥/١٢٩).

٢. عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام: «أنت ولي كلِّ مؤمن بعدي». (مسند أحمد بن حنبل:٥/٢٥).

٣. أخرج الترمذي وقال: قال رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلّم -: «ما تريدون من عليٍّ؟ ما تريدون من عليٍّ؟ ما تريدون من عليٍّ؟ إنّ علياً منّي وأنا منه وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي». (سنن الترمذي:ح٣٧١٢).

٤. قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه - وآله - وسلَّم في حديث طويل حينما بعث عليًّا أميراً على اليَمَنِ: «...ما بالُ أقوامٍ ينتقِصونَ عليًّا...، إنَّ عليًّا منّي وأنا

منه خُلِق مِن طِينتي وخُلِقْتُ مِن طِينةِ إبراهيمَ وأنا أفضَلُ مِن إبراهيمَ»، وقال صلَّى الله عليه وآله: «يا بُرَيدةُ أمَا علِمْتَ... أنَّه وليُّكم مِن بعدي...». (صحيح البخاري: ١٥٥/٣٣).

٥. أخرج الخطيب والرّافعي عن عليٍّ - عليه السلام - قال: «قال رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلّم - سألت الله يا عليٌّ فيك خمساً، فمنعني واحدة وأعطاني أربعاً، سألت الله أنْ يجمع عليك أُمّتي فأبى علَيّ، وأعطاني فيك: أنَّ أوّل من تنشق عنه الأرض يوم القيامة أنا وأنت معي ومعك لواء الحمد، وأنت تحمله من بين يديّ، تسبق به الأوّلين والآخرين، وأعطاني أنّك وليٌّ المؤمنين بعدي». (التدوين في أخبار قزوين للرافعي:ح٤٩٥. معارج العلى في مناقب المرتضى: مخطوط. نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار للسيد علي الميلاني: ٢٥٢/١٥).

قال العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين (قدّس الله نفسه الزّكية) بعد ذكره هذا الحديث: إنَّ من تدبر هذا الحديث وأمثاله علم أنَّ علياً من رسول الله بمنزلة الرسول من الله تعالى، فإنَّ الله سبحانه يقول لنبيه: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل/٦٤]، ورسول الله يقول لعليٍّ عليه السلام: «أنت تبين لأُمّتي ما اختلفوا فيه من بعدي». (المراجعات:٣٩٤).

فلقد كان صلوات الله عليه وكلّما فتحت مدينة جعل عليها والياً لإدارتها، فإذا أرسل سرّية أو دورية عيّن قائداً أو قادة على التعاقب تحسّباً لاستشهاد القائد، فإذا غادر المدينة عيّن حاكماً عليها لحين عودته، فكيف به يترك أُمّته ودولته الفتية دون خليفة؟ وكيف لنا أنْ نتصور نبيّنا محمّداً صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مع حكمته وسيرته المضيئة المشرقة يترك الأُمّة في مهب العاصفة دون خليفة يقودها عبر المنعطفات الحادة الدقيقة؟!

أتكون عائشة أكثر إدراكاً من النبيّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عندما تخاطب والدها في أُخريات حكومته قائلة: لا تدع أُمّة محمّد بلا راعٍ؟!

ولوكان الأمر موكولاً للأُمّة أفلا يتوجب على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الذي بيّن دقائق الشريعة وتفاصيلها أنْ يوضّح ذلك حتى لا تحدث فرقة واختلاف بين المسلمين؟!

٢. الشورى

وهو الطريق الثاني لدى أهل السنة في شرعية انتخاب الخليفة حيث يجتمع كبار الزعماء والخبراء لترشيح فرد للخلافة ويستشهدون في ذلك على الطريقة التي انتخب فيها عثمان فقد جعل عمر الخلافة في ستة نفر لينتخبوا من بينهم خليفة وهم عليٌّ بن أبي طالب وعثمان بن عفان وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة.

وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيتي حتى يختاروا رجلاً.

وقال لأبي طلحة الأنصاري: اختر خمسين رجلاً من الأنصار واستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً.

وقال لصهيب: صلِّ بالناس ثلاثة أيام وأدخل هؤلاء الرهط بيتاً وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رأسيهما، وإن رضي ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً فحكموا عبد الله بن عمر، فإنْ لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين. (الكامل في التاريخ:٦٦/٣).

وبهذه الطريقة تم انتخاب عثمان بن عفان!!

ويعترض الشيعة الإمامية أيضاً على شرعية هذه الطريقة ويستندون في ذلك إلى جهل أمثال طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص انتخاب الخليفة الحقّ الذي يتمتع بمواصفات الإمام.

وإذا كانت مسألة تعيين الخليفة حقاً لجميع المسلمين، فكيف يخوّل عمر لنفسه الحق في ترشيح ستة أشخاص للخلافة ويحرم الآخرين، وكيف يصح حصر القرار في ستة أفراد في مسألة مصيرية مثل الخلافة؟!

إنّهم يتمسكون بالآية الكريمة ﴿...وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...﴾. [الشورى/٣٨].

ولكنَّ الآية تشمل المؤمنين جميعاً وتسمهم بهذا الميسم العام فلا

تنحصر في ستة نفر، و إذا كانت الآية تدلُّ على الشورى والاستشارة فلماذا لم يستشر عمر أحداً عندما شكل ذلك المجلس؟ ولماذا لم يستشر أبو بكر أحداً عندما استخلف عمر؟!

٣. الاستخلاف

هي الطريقة الثالثة في تعيين الخليفة لدى أهل السنة ويستمدّون شرعيتها من استخلاف أبي بكر لعمر، إذ لم يعترض من المسلمين أحد على هذه الخطوة.

ويعترض الإمامية على هذه الطريقة بقولهم إنّه لا يحقّ لغير المعصوم اختيار الخليفة، وإلَّا فما هو امتيازه عن الآخرين ليكون له الحقّ في تقرير مصير الخلافة؟! إضافة إلى أنّ التاريخ سجّل اعتراض بعض الصحابة على موقف أبي بكر وامتعاضهم عن استخلافه لعمر.

وفي كلِّ الأحوال يستمدّ أهل السنة نظرياتهم من خلال ما قام به بعض الصحابة في صدر الإسلام في معالجة موضوع الخلافة.

٤. تخرصات مغرضة

كتب أحدهم قائلاً: إنّ المؤسسة الشيعية تصرّ على أنّ انتخاب الخليفة يتمّ من قبل الله، ونحن نسأل هنا: ما هو الدليل على هذا؟ إنّ القرآن هو كتاب الإسلام، فهل هناك آية تشير إلى ذلك؟ بالطبع لا توجد آية وتوجد بدل كتاب مواقف زعماء الإسلام الذين اجتمعوا بعد وفاة رجل العرب فانتخبوا أبا بكر للخلافة ليأتي عمر بعد وفاته ثم يعقبه عثمان وبعد قتل عثمان جاء عليٌّ - عليه السلام - أليس في هذا دليل على ضعف رأيهم (العقيدة الإمامية). يدّعي الملالي: أنّ الخليفة يجب أن يكون معصوماً عن الذنب أعلم الناس وأعلاهم شأناً، وتحديد هذا يكون من قِبل الله. إنّنا نتساءل: من أين لكم بأنّ رأيكم حق، ولو كان حقّاً ما تقولون لقامه مؤسس الإسلام لا ما تنسجه أحلامكم. (كتاب داوري لأحمد كسروي:٢١).

الجواب: إنّ الكاتب يتبجح فيتمشدق بعدم وجود آية في القرآن حول آراء الإمامية في هذا المضمار.

ولكنْ لا يخفى على كلّ ذي علم بأنّ القرآن الكريم ينفرد بأُسلوب خاص يطرح فيه عموميات المسائل والقضايا فهناك حشد من العبادات والقضايا والأخلاقية والمعاملات لم ترد لها تفاصيل في القرآن وتكفلت السنّة بتوضيحها وبيانها، ولا يمكن الاكتفاء بالقرآن الكريم في معرفة الشريعة وإلَّا أضحى لها شكل آخر.

ولو تضمن القرآن موضوع الإمامة بشكل سافر لأصبح عرضة لغارات لمغيرين ولأصبح في مهبّ عواصف التحريف ولتربص له الذين قالوا لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم عندما أراد أنْ يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده إنّه ليهجر فنسبوا الهذيان لسيّد ولد آدم وهو الذي قال الله عزَّ وجلَّ عنه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾. [النجم/٣-٤].

ولهمّ به الذين قالوا في سعد بن عبادة: اقتلوا سعداً قتله الله. فكيف يسكت هؤلاء عن القرآن وهم يرون بعض آياته تصدح بإمامة من لا يريدون وتهدد في كلّ لحظة زعاماتهم ونفوذهم بالزوال؟ ألن يقولوا بعد حذفها يكفينا هذا القسم من القرآن لا حاجة لنا بالباقي ولقد قال أحدهم في مناسبة مشابهة: حسبنا كتاب الله. (شرح نهج البلاغة:٢/٢٥).

وهناك أدلة ذكرت في الكتب والبحوث تناقش هذه الشبهة، أنّه لماذا لم ترد تفاصيل عن هذا الموضوع بشكل صريح في كتاب الله تعالى؟

إذن: هناك بعض الشروط والواجبات يجب أنْ تتحقّق ليتم اختيار خليفة رسول الله صلَّى الله عليه وآله منها ما يلي:

أ: إنّ الله تبارك وتعالى لا يترك شريعته ودينه من دون رسول ولا نبيٍّ.

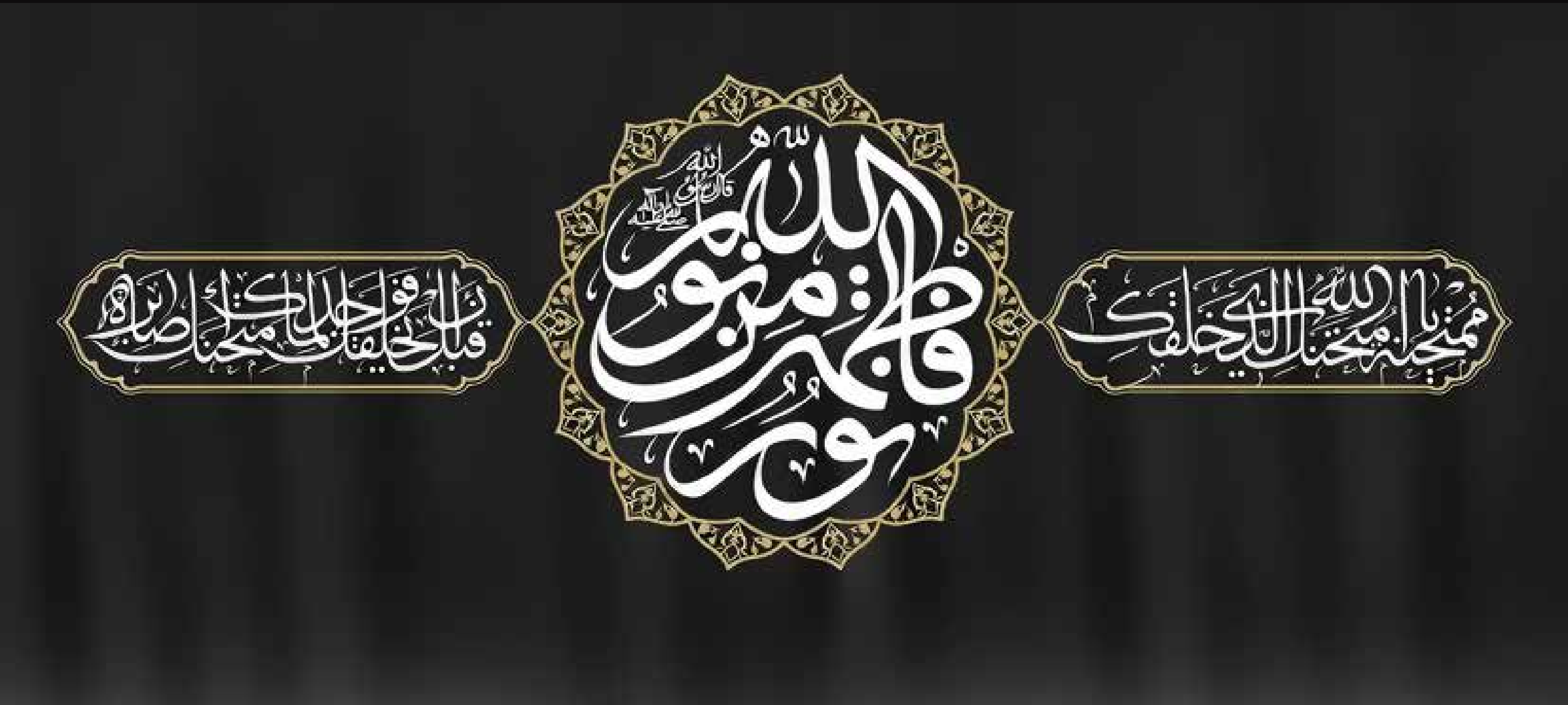
ب: لابُدَّ أنْ يكون الرسول أو النبيُّ المرسل من قبل الله تعالى فيه شروط يتميّز عن باقي البشر كالعصمة.

ج: إنّ لكلِّ نبيٍّ وصياً ولابُدَّ أنْ يكون هذا الوصي ذا مواصفات بمستوى النبيّ، فلا يعقل أنْ يكون خليفة رسول الله صلَّى الله عليه وآله غير معصوم.

د: إنّ تأكيد النبيّ صلَّى الله عليه وآله في مدّة حياته الشريفة على أحقّية أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام بعده واضح وجلي، وهناك روايات متواترة تؤكّد ذلك.

هـ: اختيار الخليفة يكون من الله تبارك وتعالى بنص من رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فلا يصح اختيار الخليفة من قبل الناس.





فاطمة عليها السلام

ونصرة كلمة اللّٰه العليا

★ د. أحمد عبدالله

كانت العقيدة النصرانية التي سبقت الرسالة الخاتمة قد بلغت من المسخ والتحريف حالة أبعدتها عن روح الدين الحق الذي جاء به روح الله وكلمته عيسى المسيح على نبيّنا وآله وعليه السلام من عند الله لإتمام رسالة كليمه موسى بن عمران على نبيّنا وآله وعليه السلام، ومبشراً بنبيٍّ يأتي من بعده اسمه أحمد، هو خاتم الرسل وسيد أنبياء الله إلى عباده وخلفائه في الأرض.

لكنَّ أهل الضلال من معتنقي النصرانية، ترامت بهم الأهواء وتفرقت بهم سبل الباطل، فراحوا ينسبون إلى نبيّ الله عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام ما وصل بهم إلى حدّ الكفر والتأليه والشرك، فتشتت بهم الاعتقاد بين من يقول بالتثليث، ومن يجعل المسيح ابنًا للرب، ومن يتخذه إلهًا من دون الله... تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

حين بعث الله رسوله الخاتم محمدًا صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الناس كافة داعيًا إلى التوحيد ناطقًا بكلمة (لا إله إلّا الله)، لم يرض هذا الصوت السماوي أهل الضلال ممّن اتخذ المسيح إلهًا من دون الله، فتقدم نفر من أهل نجران بقسيسيهم ورهبانهم منكرين على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما يبلّغ من رسالة ربّه عن إخوانه الأنبياء، ولا سيما المسيح عيسى ابن مريم على نبيّنا وآله وعليهما السلام.

وقد تناقلت الروايات المتواترة هذه الحادثة بأشكال مختلفة، وبمضمون واحد يقول: (عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنِ ابْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «أَنَّ نَصَارَى نَجْرَانَ لَمَّا وَفَدُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم وَكَانَ سَيِّدُهُمُ الْأَهْتَمَ وَالْعَاقِبَ وَالسَّيِّدَ وَحَضَرَتْ صَلاتُهُمْ فَأَقْبَلُوا يَضْرِبُونَ بِالنَّاقُوسِ وَصَلَّوْا، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم هَذَا فِي مَسْجِدِكَ فَقَالَ: دَعُوهُمْ فَلَمَّا فَرَغُوا دَنَوْا مِنْ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله فَقَالُوا إِلَى مَا تَدْعُونَ، فَقَالَ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدٌ مَخْلُوقٌ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيُحْدِثُ، قَالُوا: فَمَنْ أَبُوهُ؟ فَنَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي آدَمَ عليه السلام أَكَانَ عَبْداً مَخْلُوقاً يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَنْكِحُ؟ فَسَأَلَهُمُ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: فَمَنْ أَبُوهُ فَبُهِتُوا فَبَقُوا سَاكِتِينَ فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ

مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران/٥٩]، وَأَمّا قَوْلُهُ ﴿فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكاذِبِينَ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: فَبَاهِلُونِي فَإِنْ كُنْتُ صَادِقاً أُنْزِلَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُ كَاذِباً نَزَلَتْ عَلَيَّ، فَقَالُوا أَنْصَفْتَ فَتَوَاعَدُوا لِلْمُبَاهَلَةِ، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ قَالَ رُؤَسَاؤُهُمُ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ وَالأَهْتَمُ: إِنْ بَاهَلَنَا بِقَوْمِهِ بَاهَلْنَاهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيٍّ وَإِنْ بَاهَلَنَا بِأَهْلِ بَيْتِهِ خَاصَّةً فَلا نُبَاهِلُهُ فَإِنَّهُ لا يُقْدِمُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ إِلاَّ وَهُوَ صَادِقٌ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلَّى الله عليه وآله وَمَعَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام، فَقَالَ النَّصَارَى: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَقِيلَ لَهُمْ هَذَا ابْنُ عَمِّهِ وَوَصِيُّهُ وَخَتَنُهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَهَذِهِ بِنْتُهُ فَاطِمَةُ وَهَذَانِ ابْنَاهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام، فَعَرَفُوا وَقَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نُعْطِيكَ الرِّضَى فَاعْفُنَا مِنَ الْمُبَاهَلَةِ، فَصَالَحَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عَلَى الْجِزْيَةِ وَانْصَرَفُوا..». (تفسير القمي:١/١٠٤).

فهو تحدٍ لهؤلاء المشركين المكابرين الذين اتخذوا الضلال مبدأ لا يحيدون عنه، تحدٍ واجه به الناطق باسم التوحيد المثلثين والمشركين بالمباهلة ليدعو كلٌّ فريق على الآخر فيكون الحق لمن يستجيب الله له فيهلك خصمه ويجعل لعنته عليه.

«خَرَجَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم آخِذاً بِيَدِ عَلِيٍّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَفَاطِمَةُ عليهم السلام وَرَاءَهُ فَلَمَّا رَآهُمُ الأُسْقُفُّ وَكَانَ رَئِيسَهُمْ سَأَلَ مَنْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ مَعَهُ فَقِيلَ هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ابْنُ عَمِّهِ وَزَوْجُ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ هَذِهِ وَهَذَانِ وَلَدَاهُمَا فَقَالَ الأُسْقُفُّ لأَصْحَابِهِ: إِنِّي لأَرَى وُجُوهاً لَوْ سَأَلُوا اللهَ أَنْ يُزِيلَ جَبَلاً مِنْ مَكَانِهِ لأَزَالَهُ فَلاَ تُبَاهِلُوا فَتَهْلِكُوا وَلاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ نَصْرَانِيٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ قَالَ الأُسْقُفُّ لِلنَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّا لا نُبَاهِلُكَ وَلَكِنْ نُصَالِحُكَ فَصَالِحْنَا عَلَى مَا نَنْهَضُ بِهِ فَصَالَحَهُمْ عَلَى أَلْفَيْ حُلَّةٍ وَثَلاثِينَ رُمْحاً وَثَلاثِينَ دِرْعاً وَثَلاثِينَ فَرَساً وَكَتَبَ لَهُمْ بِذَلِكَ كِتَاباً وَرَجَعُوا إِلَى بِلادِهِمْ وَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يُلاعِنُونِّي لَمُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ وَاضْطَرَمَ الْوَادِي عَلَيْهِمْ نَاراً وَلَمَا حَالَ الْحَوْلُ عَلَى النَّصَارَى حَتَّى يَهْلِكُوا كُلُّهُمْ». (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة:١١٧).

وهكذا تتجلى كلمة الحق وتصدح في أركان الأرض، وأرجاء السماء: ﴿...تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.[آل عمران/٦١]

الأبناء: سيدا شباب أهل الجنة.

والأنفس: نفس حبيب الله وصوته، ونفس أخيه ووصيه، وأول المصدقين به.

أمّا النساء: فواحدة هي فاطمة بنت محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

لقد كانت المباهلة في السنة العاشرة من الهجرة المباركة، وهذا يعني وجود معظم أزواج النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عنده، لكنَّه اختار في دعوة نسائه فاطمة عليها السلام، تخرج لتمشي خلف أبيها وخلفها عليّ لتلاعن المشركين دفاعًا عن عقيدة التوحيد العظمى، ونصرة كلمة الله العليا.

سؤال:

لماذا كانت فاطمة المندوبة الوحيدة لمثل هذه الواقعة الكبرى في تاريخ الإسلام والإنسانية جميعًا، وما دلالة ذلك؟

الجواب:

فاطمة هي المدافعة عن التوحيد، وهي صوت المرأة الذي يخرج ليذب عن دعوة (لا إله إلا الله) لأنَّها ابنة التوحيد وبذرته الخالصة، لأنَّها ابنة البيت الذي انبثق منه التوحيد ليملأ الدنيا بعد أنْ كانت أصوات الشرك تملأ الآفاق وتنسج حول الأرض خيوطها السوداء، ولم يكدر صفو توحيده كدر من أكدار الدنيا وحبها.

لقد ولدت السيدة الزهراء عليها السلام أيام رسالة التوحيد، فلم تبصر من أرجاس الجاهلية شيئًا، وعاشت كفاح أبيها العظيم فشهدت دعوته وجهاده، ولم تعِ غير راية التوحيد مرفوعة بيده الكريمة، يعاني ما يعاني بأبي وأُمّي من أجل رفعها، حتى أقام قواعد الإسلام راسخة في شرق الأرض وغربها.

وبعد هذا العمر القصير الذي نسج التوحيد والقرآن والركوع والسجود خيوطه، رحلت الزهراء عليها السلام في ذات السنة التي رحل فيها أبوها الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لتلحق به في عرصات التوحيد التي كانا أحق بها وأهلها عند الرفيق الأعلى. فما أقوى موقف هذه الصديقة الطاهرة، وما أعزّ مكانتها عند الله، وقد اختارها بين جنده الذين ينازلون أعداءه دفاعًا عن كلمة توحيده.

فسلام عليك سيدتي، يوم ولدت، ويوم استشهدت، ويوم تبعثين على رؤوس الأشهاد لتشفعي عند ربّك لأوليائك وشيعتكِ ومحبّيكِ.



أمير المؤمنين علي عليه السلام في الفكر المسيحي

★ أحمد عبد الحسن نصيف

اختصّ أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليهما السلام بفضائل لا تدانى ومنزلة لا تضاهى.

فهو أخو رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم وأوّل من آمن به وصدّقه، وأحبّ الناس إلى الله تعالى وإلى رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم، وهو وصيّ رسول الله ووارثه وصفيه ووزيره وباب مدينة علمه ووليّ كلّ مؤمن بعده.

وفضائله المبيّنة عن منزلته السامية عند الله تعالى كثيرة تفوق حدّ الإحصاء، أفردها كثير من العلماء والمحدثين بالتصنيف والتأليف، كالسيد الرضي في الخصائص، وابن المغازلي في المناقب، والخوارزمي في المناقب وغيرهم.

روى الحاكم بإسناده عن أحمد بن حنبل، قال: ما جاء لأحدٍ من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الفضائل أكثر ما جاء لعليّ بن أبي طالب عليه السلام. (المستدرك على الصحيحين: ٣/١٠٧).

ورواه ابن عساكر. (تاريخ مدينة دمشق: ٣/٨٣، ١١٧).

وابن حجر. (طبقات الحنابلة: ١/٣١٩).

وقال الأخير: وكذا قال النسائي وغير واحد. (الاستيعاب: ٣/٥١. تهذيب التهذيب: ٧/٣٣٩).

وقال ابن أبي الحديد: اعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه، وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي آتاه الله تعالى إياها واختصّه بها، وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة، لم يبلغوا

إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق صلوات الله عليه في أمره. (شرح ابن أبي الحديد: ١٦٦/٩).

وفيما يلي بعض تلك الفضائل التي اختص بها أمير المؤمنين عليه السلام من بين أفراد الأُمّة:

١. إنّه أحبّ الخلق إلى الله تعالى، وذلك في حديث الطائر المشهور المتواتر.

٢. وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم مخاطباً أمير المؤمنين علياً عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي». (صحيح البخاري: ٨٩/٥، ٢٠٢. صحيح مسلم: ١٨٧٠/٣، ٢٤٠٤. سنن الترمذي: ٦٤٠/٥، ٣٧٣٠. المستدرك للحاكم: ٣٣٧/٢. مسند أحمد: ١٧٣/١. مصابيح السنة: ١٧٠/٤، ٤٧٦٢. جامع الأُصول: ٨/ ٦٤٩).

والظاهر من القرآن الكريم أنَّ هارون كان وزيراً لموسى عليه السلام وخليفته في قومه، وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام، فهو نصّ صريح في خلافته عليه السلام.

ورد في القرآن كريم عن لسان موسى النبيّ على نبيّنا وآله وعليه السلام حينما خاطب ربّه قائلاً: ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾. [طه/٢٩-٣٢]

وقال الله سبحانه وتعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾. [الفرقان/٣٥]

وقال تعالى أيضاً في سورة الأعراف: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾. [الأعراف/١٤٢]

٣. ولعلَّ حديث الراية في يوم خيبر ومجيئه بالفتح والظفر، هو أربى فضائله عليه السلام.

٤. وفي تبليغ سورة براءة، بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أبا بكر إلى أهل مكة، فسار بها ثلاثاً، ثم قال لعليٍّ عليه السلام: «الحقه، فرُدَّ علَيّ أبا بكر، وبلّغها أنت» ففعل وأخذها منه وسار إلى مكة، ورجع أبو بكر إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قائلاً: يا رسول الله، أحدث فيّ شيء؟ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا، ولكنْ أُمرت أنْ لا يبلّغها إلّا أنا أو رجل مني»، وفي رواية: «لا يبلّغ عني إلّا أنا، أو رجل منّي». (مسند أحمد: ٣/١، ٣٣١. سنن الترمذي: ٦٣٦/٥، ٣٧١٩. جامع الأُصول: ٦٦٠/٨، ٦٥٠٨. مجمع الزوائد:١١٩/٩. الصواعق المحرقة: ١٢٢. الجامع الصغير: ١٧٧/٢، ٥٥٩٥. البداية والنهاية: ٣٧٠/٧. تفسير الطبري:٤٦/١٠).

٥. ودعا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم علياً عليه السلام يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمّه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: «ما أنا انتجيته، ولكنّ الله انتجاه». (سنن الترمذي: ٦٣٩/٥، ٣٧٢٦. مصابيح السنّة: ١٧٥/٤، ٤٧٧٣. جامع الأُصول: ٦٤٩٣/٩. الرياض النضرة: ١٧٠/٣. البداية والنهاية: ٣٦٩/٧. وغيرها كثير).

٦. وفي حديث سدّ الأبواب الشارعة في مسجد النبيّ، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «سدّوا الأبواب إلاّ باب عليٍّ» فتكلم الناس بذلك، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أمّا بعد، فإنّي أُمرت بسدِّ هذه الأبواب إلاّ باب عليٍّ، وقال فيه قائلكم، والله ما سددّته ولا فتحته، ولكنْ أُمرت فاتّبعته». (سنن الترمذي: ٦٤١/٥، ٢٧٣٢. مسند أحمد: ٣٣١/١. فتح الباري: ١٣/٧. مستدرك الحاكم: ١٢٥/٣. مجمع الزوائد: ١١٤/٩. الرياض النضرة: ١٥٨/٣. جامع الأُصول: ٦٥٩/٨، ح٦٥٠٦. البداية والنهاية: ٣٥٥/٧. وجميع كتب المناقب).

٧. وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب». (مستدرك الحاكم: ١٢٦/٣، مع التصحيح. جامع الأُصول: ٦٥٧/٨، ٦٥٠١. البداية والنهاية: ٣٧٢/٧. تاريخ بغداد:٤٩/١١. الصواعق المحرقة: ١٢٢. وغيرها).

وفي لفظ آخر قال صلّى الله عليه وآله: «أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها». (سنن الترمذي: ٦٣٧/٥، ٣٧٢٣. مصابيح السنّة: ١٧٤/٤، ٤٧٧٢. الجامع الصغير:٤١٥/١، ٢٧٠٤. البداية والنهاية: ٣٧٢/٧. حلية الأولياء:٦٤/١. وغيرها).

٨. وقال صلّى الله عليه وآله وسلم: «إنّ علياً مني وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي». (مسند أحمد: ٤٣٩/٤. سنن الترمذي: ٦٤٢/٥، ٣٧٢١. خصائص النسائي: ٧٥/٦٣. المصنف لابن أبي شيبة: ٥٠٤/٧، ٨٥. المعجم الكبير للطبراني: ١٢٨/١٨، ٢٦٥. جامع الأُصول: ٦٥٢/٨، ٦٤٩٣).

٩. وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لكلّ نبيٍّ وصيٌّ ووارث، وإنَّ علياً وصيّي ووارثي». (تاريخ ابن عساكر: ٥/٣، ١٠٣٠. الرياض النضرة: ١٣٨/٣. ذخائر العقبى: ٧١. مناقب الخوارزمي: ٤٢. الفردوس للديلمي: ٣٣٦/٣، ٥٠٠٩. مناقب ابن المغازلي: ٢٠١، ٢٣٨. كفاية الطالب:٢٦٠).

١٠. وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «من آذى علياً فقد آذاني». (مسند أحمد: ٤٨٣/٣. مستدرك الحاكم: ١٢٢/٣. دلائل النبوة للبيهقي: ٣٥٩/٥. الجامع الصغير: ٥٤٧/٢، ٨٢٦٦. مجمع الزوائد: ١٢٩/٩. البداية والنهاية: ٣٥٩/٧. الرياض النضرة: ١٢١/٣. الصواعق المحرقة: ١٢٣. وغيرها).

فهذه النصوص النبوية وغيرها الكثير، دلائل بيّنة تحكي عن فضل أمير المؤمنين عليٍ بن أبي طالب عليه السلام على جميع أفراد الأُمّة، وكونه المؤهل لتسنّم الدور القيادي في حياة الأُمّة وتحمّل أعباء الرسالة بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام في فكر المسيحيين

١. قال (توماس كارليل) حول أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام: (عندما قام النبيُّ صلَّى الله عليه وآله بدعوة عشيرته للإسلام صنع لهم طعاماً ودعاهم إلى وليمة، وكان الإمام عليٌّ عليه السلام من بينهم، وعمره آنذاك ستة عشر عاماً، فلمّا دعاهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله إلى الإسلام أحجموا عنه جميعاً إلّا علياً عليه السلام قام غاضباً من موقفهم وقال: أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه. (ينظر: تفسير القمي: ١٢٤. تفسير فرات الكوفي: ٣٠٠. الكافي الشريف: ٥٤٠/١. أمالي الصدوق: ٥٢٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٣١/٢. أمالي الطوسي: ٥٨٢).

وأمّا عن فضائل عليٍّ عليه السلام فنقول: كان يحمل روحاً عالية، عفيفاً، رحيماً، عادلاً، شجاعاً، إلى غير ذلك من الفضائل. ولشدّة عدله عليه السلام بين المسلمين وسعيه الحثيث في نصرة المظلوم ومخاصمة الظالم ضربه أحد الخوارج وهو اللئيم ابن ملجم المرادي - لعنه الله - بالسيف على رأسه. وفي آخر لحظاته عليه السلام نجده يوصي أبناءه عليهم السلام بتطبيق حكم الله بحقه، وفي حالة بقائه على قيد الحياة سيتولى هو أمره).

٢. قال الشاعر اللبناني المسيحي جورجي زيدان حول الإمام عليٍّ عليه السلام: (ألم يكن عليٌّ ابن عمّ الرسول وخليفته وصهره؟ أوَليس هو ذلك العالِم المتّقي الصالح؟ أوَليس هو ذلك المخلص والغيور الذي أعزّ الإسلام والمسلمين برجولته وشهامته؟ فعليٌّ حقّاً مظهر كلّ الصفات الحسنة والخصال الحميدة، وهو أفضل أصحاب الرسول).

٣ قال المستشرق شبلي شميل الكاتب المسيحي المعروف حول الإمام عليٍّ عليه السلام: (الإمام عليٌّ بن أبي طالب أعظم عظماء العالم، فلم يرَ العالَم الشرقي والغربي القديم والحديث له مثيلاً يطابقه أصلاً).

٤. قال الأديب اللبناني المسيحي جورج جرداق واصفاً أمير المؤمنين الإمام علياً عليه السلام: (عليٌّ بن أبي طالب هو في الحقيقة والتاريخ واحد، سواء عرفته أم لم تعرفه، فالتاريخ والحقيقة يُذعنان بأنَّ له ضميراً حياً وقهّاراً، وأبو الشهداء والأحرار، وهو صوت العدالة الإنسانية، وشخصية الشرق الخالدة. يا أيّها العالَم، ماذا سيحدث لو جَمَعتَ كلَّ قواك وقدراتك وأعطيتَ الناسَ في كلِّ زمان علياً بعقله وقلبه ولسانه وذي فقاره؟!). (نقلاً عن كتاب: الإمام عليٌّ صوت العدالة الإنسانية).

وقال أيضاً: (هل سمعت عن حاكم لم يُشبع نفسه برغيف خبز؟ لأنّ في بلاده من ينام وهو غير شبعان، وهل سمعت عن حاكم لم يلبس الملابس الناعمة؟ لأنّ في شعبه مَن يلبس الملابس الخشنة، فهو لم يكنز لنفسه حتّى درهماً واحداً؟! وأوصى أبناءه وأصحابه أنْ لا يتّبعوا سوى هذه الطريقة. فحاسب أخاه لأخذه ديناراً واحداً غير حقّه من بيت المال، وهدّد وأمر بمحاكمة حكّامه بسبب رغيف خبز أخذوه من غني وأكلوه رشوةً؟!).

٥. قال المستشرق البريطاني بارون كارادیفوکس حول الإمام عليٍّ عليه السلام: (عليٌّ ذلك الشجاع الفريد والبطل الصنديد، الذي قاتل جنباً إلى جنب مع رسول الله. وقام بأعمال خارقة معجزة: لقد شطر فارس قريش نصفين - في معركة بدر - وهو في سنّ العشرين. وتناول سيف رسول الله ذا الفقار في أُحُد بقبضة من حديد، فانقضّ به على رؤوسهم يفلقها هاماً، وعلى أبدانهم يفريها قواماً! واقتلع باب حصن خيبر الثقيلة من أصولها بيدٍ واحدة، فرفعها فوق رأسه درعاً واقية! وكم كان يحبّه رسول الله؟! وكم كان يثق به ويطمئن له؟! لقد أشار الرسول - صلَّى الله عليه وآله وسلَّم - يوماً إلى عليٍّ - عليه السلام - وقال: «مَن كنت مولاه، فهذا عليٌّ مولاه»).

٦. قال المستشرق الروسي ايليايا وليج حول

الإمام عليٍّ عليه السلام: (يصف شخصية الإمام أمير المؤمنين في كتاب (الإسلام في إيران): عليٌّ نشأ وتربّى عند محمّد، وكان مخلصاً له وللإسلام، وكان متمسّكاً إلى حدِّ العشق والشوق بالدين، كان صادقاً وسبّاقاً في الأُمور الأخلاقية، وكان محارباً وشاعراً أيضاً، وتجسّدت في وجوده وكيانه كلُّ صفات أولياء الله).

٧. قال المستشرق الفرنسي ميخائيل نعيمة حول الإمام عليٍّ عليه السلام: (قوّة وشجاعة الإمام لم تكن محدودة بميدان المعركة فقط، بل تجلّت في صفاته الحميدة وضميره الحيّ وبيانه البليغ وإيمانه الشديد، وإنسانيته العميقة وهمّته العالية وعزمه ولينه ولطفه، وإعانة المحرومين، ونصرة المظلومين على المتجاوزين والظالمين، والدعوة إلى الحقّ لكلّ ما لكلمة الحقّ من معنى. فهذه القوّة والشجاعة دائماً محفزة ومستمرة، مهما مضى عليها الزمن، فاليوم وكلّ يوم كلّما أردنا بناء صرح صالح وفاضل نتحرّك باتجاه هذه القوة العظيمة. وبالمناسبة فلا يمكن لأيّ مؤرّخ مهما كان ذكياً ونابغة أنْ يقدّم تصوّراً كاملاً عن عظمة عليٍّ حتّى ولو كتب ألف صفحة عنه... لأنَّ هذا البطل العظيم والشجاع العربي، كان يفعل ما يقول وما يفكّر ويعتقد به، فكان عمله خالصاً لله تعالى وحده فلم تسمع به أيُّ أُذن ولم تره أيُّ عين، وهو أكثر ممّا يمكن حصره بالكلام أو توضيحه الكتابة. ففي الحقيقة إنّ كلَّ تصوّرٍ في ذهننا عنه هو تصوّر ناقص لذلك الأصل الكامل. فعليٌّ هو ذلك الشجاع الذي لا ندَّ له، ولا شبيه في تفكيره وروحه وبيانه، في أيّ زمان ومكان).

٨. قال الأديب والباحث المسيحي المعروف سليمان كتاني في كتابه (الإمام عليٌّ نبراس ومتراس): إنّ الإمام علياً (هو ركيزة الأساس وهو بالنسبة للرسالة كلَّ الرسالة في تأسيسها وفي طريقة المحافظة عليها، في نشرها وفي مجالات الدفاع عنها .. وأنَّ له سلسلة من القوى الكريمة يتجلى بها، فهو قوة، وإرادة، وشجاعة، وبطولة، وعقل، ومعرفة، وحق، وعدالة، ومثال، وكمال...). ويرى أيضاً أنَّ دستور الحياة هو دستور الإمام عليٍّ عليه السلام ونهجه، لأنَّ الدنيا برمتها ترجع إليه عند كلّ ساعة تشعر فيها بأنَّه قد غصَّ بها الطريق، فالإمام عليٌّ برأي الكتاني هو دستور الوجود وهو مرجع الإنسانية الوثيق.

٩. قال الأديب والمفكر والباحث أنطون بارفيرى: (إنّ إنسانية الإمام عليٍّ عليه السلام هي معجزة الأجيال على مرِّ العصور والدهور.. واعتبر الأُستاذ بارا أنَّ وصايا الإمام عليٍّ عليه السلام الخالدة لأبنائه ولعماله وولاته على البلدان والأمصار هي دلالة الكمال والتكامل في شخصية الإمام عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام المتربعة على عرش الكمال الإنساني).



الإعلام الزينبي في كربلاء؟

★ د. نعمات عيسى

سيدة فريدة، شخصية لامعة من شخصيات التاريخ الإسلامي، شخصية حملت بين جنباتها معالم النور والطهر الإلهي، كيف لا وهي الحفيدة المباركة لرسول كريم، ونبي عظيم أشرقت الدنيا من ضيا نوره الكريم. وهي الابنة الكريمة لتقاة أطهار، أمها فاطمة البتول وأبوها علي الوصي عليهم السلام، وهي الأخت الجليلة لأئمة أطهار، صفوة الصفوة ونور الأنوار صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين.

ولدت السيّدة زينب عليها السّلام في الخامس من شهر جمادى الأولى في السنة الخامسة للهجرة في بيتٍ أذن اللهُ أن يُرفع ويُذكر فيه اسمُه، بيتٍ احتضنته الدعوة المحمدية وكمّلته التربية النبوية.(زينب الكبرى للشيخ جعفر النقدي:١٨)

وقيل: لمّا ولدت السيدة زينب عليها السلام أخذها جدّها المصطفى صلّى الله عليه وآله فقبّلها، ثم أمر بإكرامها ورعايتها لشبهها بجدتها خديجة. وذكر أن جبرائيل عليه السلام عندما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بما يجري عليها من المصائب، بكى صلى الله عليه وآله، وقال: «من بكى على مصائب زينب، كان كمن بكى على أخويها الحسن والحسين». (رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ للسيد لطيف القزويني:١٥٩)

نشأت السيدة زينب ابنة علي بن أبي طالب عليهم السلام في بيت كان أهله أول الناس نصروا رسول الله صلى الله عليه وآله، وأقربهم رحماً به صلى الله عليه وآله عاملين بالدين متمسكين بهدي القرآن الكريم، فهي حصيلة الفضائل ونتيجة العظمة لهذا البيت الكريم، فامتازت عن سواها بجلالة شأنها، وعلو مكانها ورجاحة عقلها وفصاحة لسانها حتى قيل عنها حين تتكلم كأنّها تفرغ عن لسان أبيها عليهما السلام.

فإن الدور الحاسم للسيدة زينب عليها السلام كان بعد وقعة كربلاء إذ كان عليها حماية السبايا من الهاشميات اللاتي فقدن الرجال، وأن تناضل مستميتة كي لا تدع الدم المسفوك في كربلاء يضيع هدراً، فبعد أن سيق موكب الأسرى إلى الكوفة وكان أبشع موكب شهده التاريخ، مر الموكب بساحة المعركة حيث الأشلاء المبعثرة والرؤوس المقطعة. صاحت زينب وهي تندب بصوت حزين وقلب كئيب: «يا محمداه صلى عليك مليك السما هذا حسينك مرمل بالدما مقطع الأعضاء. وبناتك سبايا. إلى الله المشتكى. هذا حسين بالعرا تسفي عليه ريح الصبا قتيل أولاد البغايا، يا أصحاب محمد هؤلاء ذرية محمد يساقون سوق السبايا».(لماذا زينب:٤٣). فأبكت عندها كل عدو وصديق.

وإن سميت السيدة زينب عليها السلام بأم المصائب فلا عجب بذلك، فكأنّها كما جُمعت لها الفضائل كلها جُمعت لها المصائب والمحن جميعها. فالمتتبع لمراحل حياة هذه السيدة الفاضلة تتمثل أمام عينيه وقائع وأحداث يعجز الإنسان العادي عن مواجهتها.

وما أن لزينب عليها السلام شأناً آخر غير البكاء، فكانت أثناء وجودها في المدينة تؤلب الناس على الطغاة وتلهب الحزن على الشهداء، فوصل خبرها إلى يزيد فأمر بتفريق البقية الباقية من أهل البيت عليهم السلام.

فقضت السيدة زينب عليها السلام حياتها متنقلة تروي مصابها إلى الناس تعرّفهم حقيقة شهادة الإمام الحسين عليه السلام وفلسفة تضحيته الغالية لتجعل منها حديث الأجيال والأعوام.

لم تبق السيدة زينب عليها السلام بعد أخيها الحسين عليه السلام أكثر من عام ونصف العام وغادرت الدنيا إلى الرفيق الأعلى(المصدر السابق).

هذا ما جرى على أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي والتنزيل من الظلم والفظائع الفادحة من أمة رسول الله صلى الله عليه وآله فكانت الأمة بين مقاتل وخاذل إلا نفراً يسيراً قاتلوا فقتلوا، فكان هذا جزاء رسول الله من أمة هداها إلى الإسلام وطهرها من عبادة الأوثان والأصنام وأوصاها بعترته وأهل بيته الكرام. وأكد الوصية فجعلها أحد الثقلين وجعلها بمنزلة سفينة نوح وباب حطة.

وهذه هي زينب التي لولا وجودها لكانت واقعة كربلاء مجرد سطور في كتب التاريخ. وقد سجل لها التاريخ أدواراً بمستوى الشهداء الذين قضوا مع الإمام الحسين عليه السلام استحقت عليها لقب بطلة كربلاء.(الخطاب الرسالي للسيدة زينب عليها السلام:١١٣)

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾. [التوبة:٣٢]



ما هي الذنوب التي تهتك العصم؟

* ضياء قاسم عبد العالي

معنى الذنوب

الذنوب: جمع ذنب، وهو الإثم، والخطأ، والجريمة.

قال الفراهيدي في كتابه العين: (والذنب: الإثم والمعصية، والجمع الذنوب). (العين:١/٤٧)

وقال الجوهري في الصحاح: (والذنب: الجرم). (الصحاح:١٤/١٥٤)

أقسام الذنب

للذنوب تقسيمات متعددة، منها ما يلي:

أولاً: ما هو محرّم بنفسه، كشرب الخمر ولعب الميسر وأكل لحم الخنزير والعياذ بالله.

ثانياً: ما ينقلب ليصبح ذنباً، إذا ما اقترن بالنيّة والعزم، كالسفر لقتل بريء أو الأكل للتقويّ على المعاصي، أو التزيّن من المرأة لإظهار تلك الزينة.

ثالثاً: ما هو ظاهرة في الجوارح كالاستماع إلى المحرّم من الغناء واللهو والغيبة، أو كالنظر إلى ما لا يحلّ النظر إليه، أو كالغيبة والنميمة باللسان، وقد تكون غير ظاهرة مدمرة في القلب والنية، كالحسد والبغض المذموم.

والذنوب على نوعين:

١. منها الصغائر.

٢. ومنها الكبائر.

وقد اختلف العلماء في تحديد الكبائر.

فقال قوم: الكبائر كلُّ ذنب رتّب عليه الشرع الشريف حداً أنْ نصّ فيه بالعقاب، وذهب آخرون إلى أنّها كلُّ ذنب توعّد الله عليه في الكتاب المجيد بالعذاب، في حين رأى بعضهم أنّها كلُّ خطيئة بيّنت أنّ فاعلها قليل الاعتناء بأوامر الشرع متجرأ على خالقه.

قال الشهيد الثاني: (وقال جماعة من أصحابنا وغيرهم: الذنوب كلُّها كبائر وإنّما صغر الذنب وكبره بالإضافة إلى ما فوقه وما تحته فأكبر الكبائر الشرك بالله وأصغره حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الأمران فالقبلة بالنسبة إلى الزنا صغيرة وإلى النظر كبيرة وكذا سرقة درهم صغير بالنسبة إلى الدينار وكبير بالنسبة إلى الدانق وهكذا). (حقائق الإيمان:٢١٢)

وقال صاحب مجمع البحرين: (واعلم أنّ جميع الذنوب منحصرة في أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص، والحسد، والشهوة، والغضب، هكذا روي عنهم عليهم السلام). (مجمع البحرين:٦١/٢)

وقد عارض جملة من العلماء رأي صاحب مجمع البحرين وحصروا الذنوب في صفة الشهوة والغضب، منهم السيد البجنوردي حيث يقول في كتابه القواعد الفقهية: (إنّ ارتكاب الذنوب والاقتراف فيها ينشأ من الصفتين الرذيلتين، وهما الشهوة والغضب، وبسببهما يخرج الإنسان عن الاستقامة والاعتدال، وربَّما يصير أنزل من السباع الضارية والأفاعي السامة، والشهوات من أوان الطفولة إلى أنْ يصير شيخاً كبيراً أنواع وأقسام، وكلّها من المهلكات إنْ لم تصرف فيما خلقها الله لأجله. وأمّا القوة الغضبية التي هي مبدأ أغلب الشرور والبلايا تتولد منها المعاصي الكبيرة، والمفاسد، والجرائم، وقتل النفوس، وهتك الأعراض، ونهب الأموال، وهدم الدور إلى غير ذلك من الجرائم الكبيرة التي ربَّما تكون بمثابة لا يقدر الإنسان على سماعها وتقشعر من ذكرها الأبدان). (القواعد الفقهية:٣٢٦/٧)

معنى العصم

المعنى اللغوي

والعصم جمع عصمة، والعصمة لغة تعني: (المنع)، اعتصمت عن الناس، امتنعت عن مواجهتهم، واعتصمت بحبل الله، أي: امتنعت بحبله من أنْ يطالني سوء.

المعنى الاصطلاحي

قيل: قوة تمنع الإنسان عن الوقوع في الخطأ، وتردعه عن فعل المعصية واقتراف الخطيئة. (تفسير الميزان:١٣٨/٢)

وتختلف من شخص لآخر؛ فعصمة الأنبياء عليهم السلام غير عصمة غير الأنبياء وعصمة كلِّ نبيٍّ مختلفة عن الآخر ولذلك قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.[البقرة:٢٥٣]

وقد بيَّن العلامة المجلسي معنى هتك العصم بقوله: (الهتك خرق الستر والعصم جمع العصمة، وهي ما يعتصم به، ولما كان الستر ممّا يعتصم به عن الفضيحة عبَّر عنه بالعصمة، أو استعمل الهتك هنا بمعنى الفصم والقطع). (بحار الأنوار:٥٨/٨٨)

وأمّا والد العلامة المجلسي فقد قال: (قوله عليه السلام: «تهتك العصم» المراد به إمّا رفع حفظ الله وعصمته عن الذنوب أو رفع ستره الذي ستره به عن الملائكة والثقلين كما ورد في الأخبار الكثيرة). (ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار:٦٣٦)

ما هي عصمتنا نحن العاديين من البشر؟

العصمة بالنسبة إلينا: هي استشعار وحدانية الله عزَّ وجلَّ بالانصياع لأوامره والامتناع عن نواهيه بحيث يصبح ذلك ملكة راسخة في النفس تزجرها عن سلوك سبيل آخر، فإنْ سوّلت لنا أنفسنا معصية والعياذ بالله، كان الندم مرافقاً واستشعار الخطأ ماثلاً، وهي كذلك تختلف من شخص لآخر.

بيد أنّ للعصمة معنى قد يكون أدق وأمتن، فإنّنا إنِ اعتصمنا بشيء فهذا يعني الإيواء إلى ركن وثيق، صحيح أنّ تقوى الله جُنّة ودرع حصين، غير أنّها تبقى دون هدف واضح إنْ كانت البُنية الإيمانية غير قائمة على أُسس متينة، والأساس المتين هنا هو الإيمان بولاية محمّد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ولذلك: إنّ إتيان الذنوب التي تفصل العصمة بيننا وبين سفن النجاة، هي التي تجعل الله يعاملنا بعدله وليس برحمته، ولعلّ هذه العصمة والتمسك بها هي التي عناها الله سبحانه بقوله: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾.[الفرقان:٧٠]

ما هي مصاديق الذنوب التي تهتك العصم؟

حديث الإمام السجاد عليه السلام، أبو خالد الكابلي يقول: سمعت زين العابدين عليَّ بن الحسين عليهما السلام يقول: «...وَالذُّنُوبُ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ: شُرْبُ الْخَمْرِ، وَاللَّعِبُ بِالْقِمَارِ، وَتَعَاطِي مَا يُضْحِكُ النَّاسَ



مِنَ اللَّغْوِ وَالْمِزَاحِ، وَذِكْرُ عُيُوبِ النَّاسِ، وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الرِّيَبِ...». (معاني الأخبار:٢٧١)

وقد علق السيد الخوئي رحمه الله على هذه الرواية بقوله: (إنَّ رواية الكابلي عدّت شرب الخمر واللعب بالقمار من جملة الذنوب التي تهتك العصم، أمّا الأول فلأنَّه يجرٌّ إلى التعرض لأعراض الناس بل نفوسهم، فإنَّ شارب الخمر في حال سكره كالمجنون الذي لا يبالي في أفعاله وحركاته، وأمّا اللعب بالقمار فلأنَّه يورث العداوة بين الناس حيث تؤخذ به أموالهم بغير عوض واستحقاق). (مصباح الفقاهة:١/٦٥١)

وفي وصية النبيّ صلَّى الله عليه وآله لأبي ذر رضي الله عنه يقول: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّ الرَّجُلَ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فَيُكْتَبُ لَهُ بِهَا رِضْوَانُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ فِي الْمَجْلِسِ لِيُضْحِكَهُمْ بِهَا فَيَهْوِي فِي جَهَنَّمَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؛ يَا أَبَا ذَرٍّ، وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ». (أمالي الطوسي:٥٣٧)

وقد أوضح بعض الأعلام أنّ التعاطي بما يضحك الناس ليس محرماً على عمومه بل هو على قسمين، فقال: (إنَّ موضوع التحريم فيها هو اللغو الذي يكون موجباً لهتك عصم الناس وأعراضهم، من الاستهزاء والسخرية والتعيير والهجاء ونحوها من العناوين المحرمة، على أنَّه لا دليل على حرمة إضحاك الناس وإدخال السرور في قلوبهم بالأُمور المباحة والجهات السائغة، بل هو من المستحبات الشرعية والأخلاق المرضية فضلاً عن كونه موجباً لهتك العصم وإثارة للعداوة والبغضاء). (مصباح الفقاهة:١/٦٥٢)

وأما السيد السبزواري رحمه الله تعالى فيرى أنّ المؤمن الذي يملك أدنى مراتب الإيمان مشغول عن اللغو: (واللغو عبارة عن الحركات الخارجية التي ليست لها غاية ولو التذاذ القوى الشهوانية. ولكلٍّ منها مراتب كثيرة أيضاً، والقول فيهما عين القول في اللهو، فهما بجميع مراتبها مرجوحة، والمتيقن من المحرم منها مرتبة خاصة كاللعب بآلات القمار مثلاً، ولا ريب في أنَّ المؤمن ولو كان بأدنى مرتبة الإيمان لمشغول عن ذلك كلِّه). (الواضح في شرح العروة:٢/٢)

متى تهتك العصم؟

وأمّا المولى محمّد صالح المازندراني في شرحه لأُصول الكافي فقد أجاب عن سؤال مهم وهو متى تهتك العصم؟ وما مقدار الذنوب التي ترتكب وتسبب هذا الهتك؟ فيقول: (والذنوب إذا كثرت وتراكمت وتهتّكها وترفّعها بالمرّة حتّى لا يبالي المذنب بأيِّ ذنب ورد ولا بأيِّ وادٍ هلك، وقد يصدر الهتك من ذنب واحد كشرب الخمر). (شرح أُصول الكافي الشريف:١٠/٤٨٩)

أمّا معنى هتك العصم فيجيبنا عليه العلامة المجلسي بقوله: (قوله عليه السلام: «التي تهتك العصم» المراد به إمّا رفع حفظ الله وعصمته عن الذنوب بالتخلية بينه وبين الشيطان والنفس، وإمّا برفع ستره الذي ستره به عن الملائكة والثقلين كما في الأخبار أنَّ الله تعالى يستر عبده بستر حتى إذا تمادى في المعاصي يقول الله تعالى ارفعوا الستر عنه فيفضحه ولو في جوف بيته، ويلعنه ملائكة السماء والأرض، والحمل على الأول أولى ليكون كشف الغطاء تأسيساً). (البحار:٨٤/٢٥٣)



الضمير الخير والضمير الشر

* السيد علي العلوي

عن أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِرَادَةِ مِنَ اللهِ وَمِنَ الْخَلْقِ، قَالَ: فَقَالَ: «الْإِرَادَةُ مِنَ الْخَلْقِ الضَّمِيرُ وَمَا يَبْدُو لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْفِعْلِ وَأَمَّا مِنَ اللهِ تَعَالَى فَإِرَادَتُهُ إِحْدَاثُهُ لَا غَيْرُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يُرَوِّي وَلَا يَهُمُّ وَلَا يَتَفَكَّرُ وَهَذِهِ الصِّفَاتُ مَنْفِيَّةٌ عَنْهُ وَهِيَ صِفَاتُ الْخَلْقِ فَإِرَادَةُ اللهِ الْفِعْلُ لَا غَيْرُ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ بِلَا لَفْظٍ وَلَا نُطْقٍ بِلِسَانٍ وَلَا هِمَّةٍ وَلَا تَفَكُّرٍ وَلَا كَيْفَ لِذَلِكَ كَمَا أَنَّهُ لَا كَيْفَ لَهُ». (الكافي الشريف:١/١١٠).

الركيزة المهمة للتربية الخلقية هو تربية الضمير.

فالضمير هو هذا الشعور الفطري الذي أودعه الله تعالى في طبيعة كلِّ إنسان تحثّه على فعل الخير، وترتاح له وتُسرّ معه أتم السرور إذا هو فعله، وتُحذّره من عمل الشّر، وتؤنّبه عليه أشد التأنيب إذا هو عمله.

إنّ الضمير قوة فطريّة عظيمة الأثر كبيرة الوقع أودعها الله في نفس ابن آدم وفرضها عليه، وهي باب النفس إلى كلِّ عمل صالح، ورقيبه الذاتي عن أي عمل طالح.

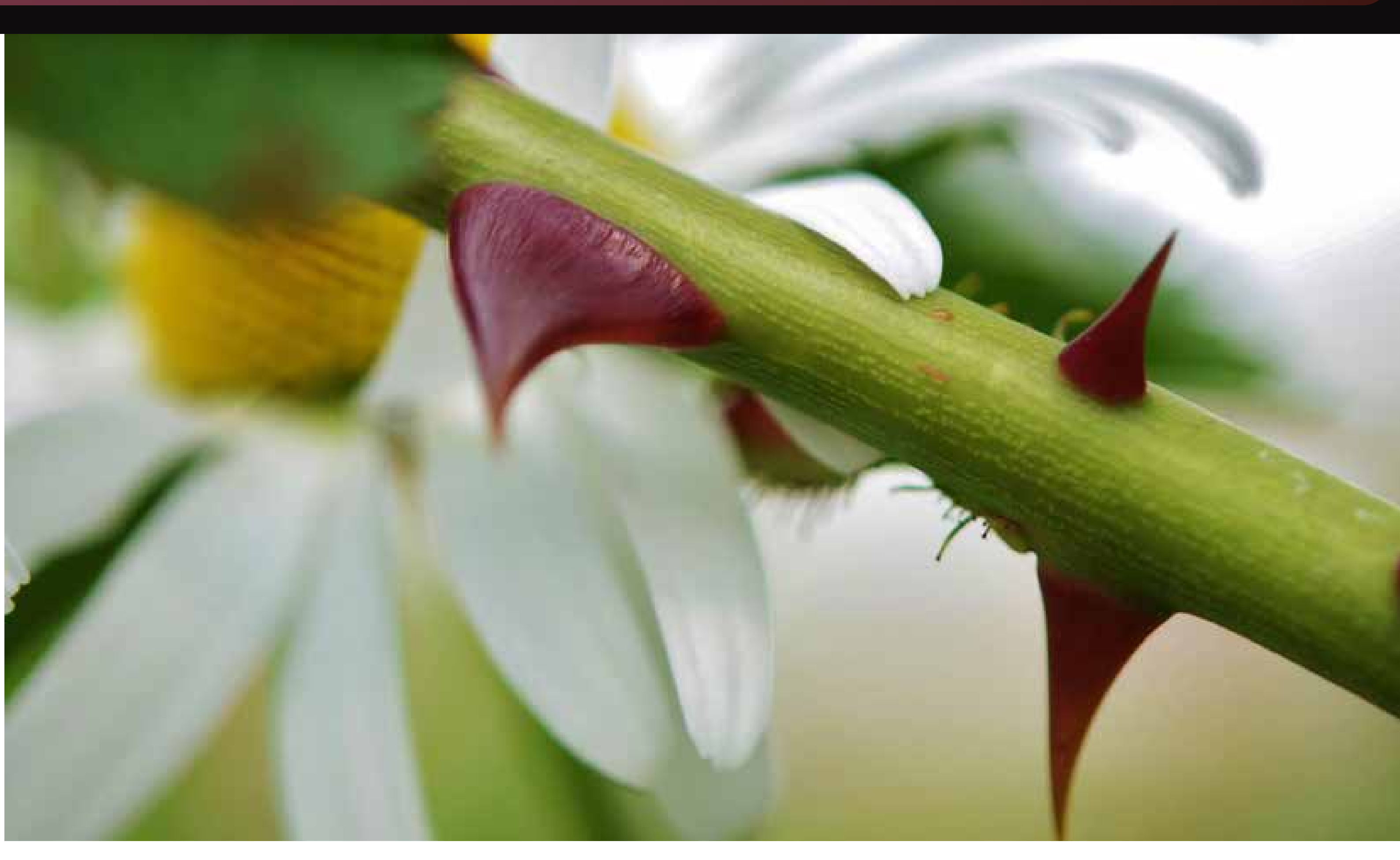
وطالما تسببت هذه القوة الفطرية إلى صلاح الإنسان بعد فساده، وإلى توبته إلى الله تعالى من عظيم الذنوب، وطالما استنقذته من أسار الجريمة بعد طول رقاده.

وقد مدّ الله سبحانه رقابة الضمير إلى أفعال غيره من بني الإنسان، فهو يُسرّ بكلّ فعل حسن يفعله الغير، ويلتذّ لكلّ باب يراه من أبواب الخير، وهو يستاء من فعل القبيح من أيّ عامل، ويشمئز لمرأى أيّ سوء، وأيّ رذيلة من الرذائل.

مدّ الله رقابة الضمير إلى أفعال الآخرين من بني الإنسان، ففتح باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعله أحد الدعائم لصلاح الأفراد وصلاح المجتمع، وحذّر المسلمين من التقصير فيه وأوعد بالعقاب عليه.

وتربية الضمير هي في ظل تعاليم الإسلام، وتزويده منها بالمقاييس الصحيحة التي يميّز بها الخير من الشر، والصحيح من الفاسد وإيقاظه اليقظة الكاملة، فيكون دقيق النظرة، شديد الرقابة، لا يخادع ولا يستغفل ولا يتغاضى ولا يتغافل.

وقد زود الله سبحانه هذا الضمير بأحكام الشريعة، ليتعرف منها مقاييس العمل، ويستبين



بها موارد الصحة من الزلل.

هذا الرقيب اليقظ الذي أقامه الله من نفس الإنسان على نفسه، يأمره وينهاه، ويثبّته ويعاقبه وإنْ أمن المطّلع من الناس الآخرين.

هذا الرقيب الداخلي هو الدعاية الأولى لإصلاح النفس، وتهذيب أخلاقها وتقويم طباعها.

ولعلَّ القرآن الكريم قد أشار إلى هذه القوة الفطرية الوازعة للإنسان بقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾. [الشمس/٧-٨]

رقابة الله تعالى

عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل قال: «...إنّ النَّبِيّ صلّى الله عليه وآله قَالَ: المُصَلّي مُنَاجٍ رَبَّهُ فَاسْتَحْيِ مِنَ المُطَّلِعِ عَلَى سِرِّكَ وَالْعَالِمِ بِنَجْوَاكَ وَمَا يُخْفِي ضَمِيرُكَ وَكُنْ بِحَيْثُ يَرَاكَ لِمَا أَرَادَ مِنْكَ وَدَعَاكَ إِلَيْهِ...». (مصباح الشريعة:١١١).

وقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام أيضاً في باب الدعاء: «احْفَظْ أَدَبَ الدُّعَاءِ وَانْظُرْ مَنْ تَدْعُو كَيْفَ تَدْعُو وَلِمَاذَا تَدْعُو وَحَقِّقْ عَظَمَةَ اللهِ وَكِبْرِيَاءَهُ وَعَايِنْ بِقَلْبِكَ عِلْمَهُ بِمَا فِي ضَمِيرِكَ وَاطِّلَاعَهُ عَلَى سِرِّكَ وَمَا تَكُونُ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَاعْرِفْ طُرُقَ نَجَاتِكَ وَهَلَاكِكَ كَيْلَا تَدْعُوَ اللهَ تَعَالَى بِشَيْءٍ عَسَى فِيهِ هَلَاكُكَ وَأَنْتَ تَظُنُّ أَنَّ فِيهِ نَجَاتَكَ». (مصباح الشريعة:١٣٢/باب٢).

وجاء في كتاب فقه الإمام الرضا عليه السلام: «... اللَّهُمَّ احْشُرْنِي مَعَ مَنْ أَتَوَلَّى وَأَبْعِدْنِي مِمَّنْ أَتَبَرَّأُ وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي ضَمِيرِ قَلْبِي مِنْ حُبِّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضِ أَعْدَائِكَ وَكَفَى بِكَ عَلِيماً...». (فقه الإمام الرضا عليه السلام: ٤٠٤/ باب١١٦، باب الدعاء في الوتر).

في حديث طويل عن أبي بصير حينما سأل جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن تفسير سورة العاديات قال: ... قُلْتُ قَوْلُهُ: ﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ قَالَ: «نَزَلَتِ الْآيَتَانِ فِيهِمَا خَاصَّةً كَانَا يُضْمِرَانِ ضَمِيرَ السَّوْءِ وَيَعْمَلَانِ بِهِ، فَأَخْبَرَ اللهُ خَبَرَهُمَا وَفِعَالَهُمَا...». (تفسير القمي: ٤٣٩/٢).

وقد نزلت الآية في (فلان وفلان) حينما أرسلهما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى أهل وادي اليابس لاجتماعهم وتعاهدهم فيما بينهم في قتل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليّ بن أبي

طالب عليه السلام.

فهذه الرواية تبيّن أنَّ هذا الرقيب النفسي قد يقوى، وقد يضعف، بل وقد يموت لدى بعض الإنسان.

وسبب ضعفه هذا هو العكوف على المعصية، وقلّة تعهّده بالتزكية والتطهير، فإنّ المرء إذا أكبّ على المخالفة سكت ضميره، وخَفَتَ صوته عن الحثّ والتهذيب.

والسبيل إلى إحيائه بعد موته هو شعور المؤمن برقابة الله عليه وإحاطته به، وعلمه بمطويّات صدره وما يخفيه، فرقابة الضمير تستمدّ من رقابة الله العظيم، المطّلع على كلِّ سريرة، الحسيب على كلِّ عمل المجازي على كلِّ ظاهرة وخافية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾. [ق/١٦]

جاء في احتجاج الإمام الصادق عليه السلام مع ابن أبي العوجاء، فقال ابن أبي العوجاء:... ذَكَرْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ فَأَحَلْتَ عَلَى غَائِبٍ فَقَالَ: «وَيْلَكَ وَكَيْفَ يَكُونُ غَائِباً مَنْ هُوَ فِي خَلْقِهِ شَاهِدٌ وَإِلَيْهِمْ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَيَرَى أَشْخَاصَهُمْ وَيَعْلَمُ أَسْرارَهُم...». (الكافي الشريف:١/١٢٦).

فالله تعالى هو الرقيب على الضمير، وما تخفي الصدور.

وقوله تعالى: {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. [الملك/١٣-١٤]

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. [آل عمران/٢٩-٣٠]

ورد في كلام عليّ بن الحسين عليهما السلام فيما يعظ فيه الناس.

عن مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى وَعَلِيِّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ جَمِيعاً عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ غَالِبٍ الْأَسَدِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام يَعِظُ النَّاسَ وَيُزَهِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَيُرَغِّبُهُمْ فِي أَعْمَالِ الْآخِرَةِ بِهَذَا الْكَلَامِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وَحُفِظَ عَنْهُ وَكُتِبَ كَانَ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * فَتَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ الْغَافِلَ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ يَا بْنَ آدَمَ إِنَّ أَجَلَكَ أَسْرَعُ شَيْءٍ إِلَيْكَ قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَكَ حَثِيثاً يَطْلُبُكَ وَيُوشِكُ أَنْ يُدْرِكَكَ وَكَأَنْ قَدْ أَوْفَيْتَ أَجَلَكَ وَقَبَضَ الْمَلَكُ رُوحَكَ وَصِرْتَ إِلَى قَبْرِكَ وَحِيداً فَرَدَّ إِلَيْكَ فِيهِ رُوحَكَ وَاقْتَحَمَ عَلَيْكَ فِيهِ مَلَكَانِ نَاكِرٌ وَنَكِيرٌ لِمُسَاءَلَتِكَ وَشَدِيدِ امْتِحَانِكَ أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ مَا يَسْأَلَانِكَ عَنْ رَبِّكَ الَّذِي كُنْتَ تَعْبُدُهُ وَعَنْ نَبِيِّكَ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكَ وعَنْ دِينِكَ الَّذِي كُنْتَ تَدِينُ بِهِ وَعَنْ كِتَابِكَ الَّذِي كُنْتَ تَتْلُوهُ وَعَنْ إِمَامِكَ الَّذِي كُنْتَ تَتَوَلَّاهُ ثُمَّ عَنْ عُمُرِكَ فِيمَا كُنْتَ أَفْنَيْتَهُ وَمَالِكَ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَهُ وَفِيمَا أَنْتَ أَنْفَقْتَهُ فَخُذْ حِذْرَكَ وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَأَعِدَّ الْجَوَابَ قَبْلَ الِامْتِحَانِ وَالْمُسَاءَلَةِ وَالِاخْتِبَارِ فَإِنْ تَكُ مُؤْمِناً عَارِفاً بِدِينِكَ مُتَّبِعاً لِلصَّادِقِينَ مُوَالِياً لِأَوْلِيَاءِ اللهِ لَقَّاكَ اللهُ حُجَّتَكَ وَأَنْطَقَ لِسَانَكَ بِالصَّوَابِ وَأَحْسَنْتَ الْجَوَابَ وَبُشِّرْتَ بِالرِّضْوَانِ وَالْجَنَّةِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاسْتَقْبَلَتْكَ الْمَلَائِكَةُ بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ تَلَجْلَجَ لِسَانُكَ وَدَحَضَتْ حُجَّتُكَ وَعَيِيتَ عَنِ الْجَوَابِ وَبُشِّرْتَ بِالنَّارِ وَاسْتَقْبَلَتْكَ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِنُزُلٍ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةِ جَحِيمٍ...». (الكافي الشريف: ٨/٧٣)

إنّها رقابة عظيمة شديدة يستوي فيها السرّ والعلن، والقول والعمل، والحركة والسكون.

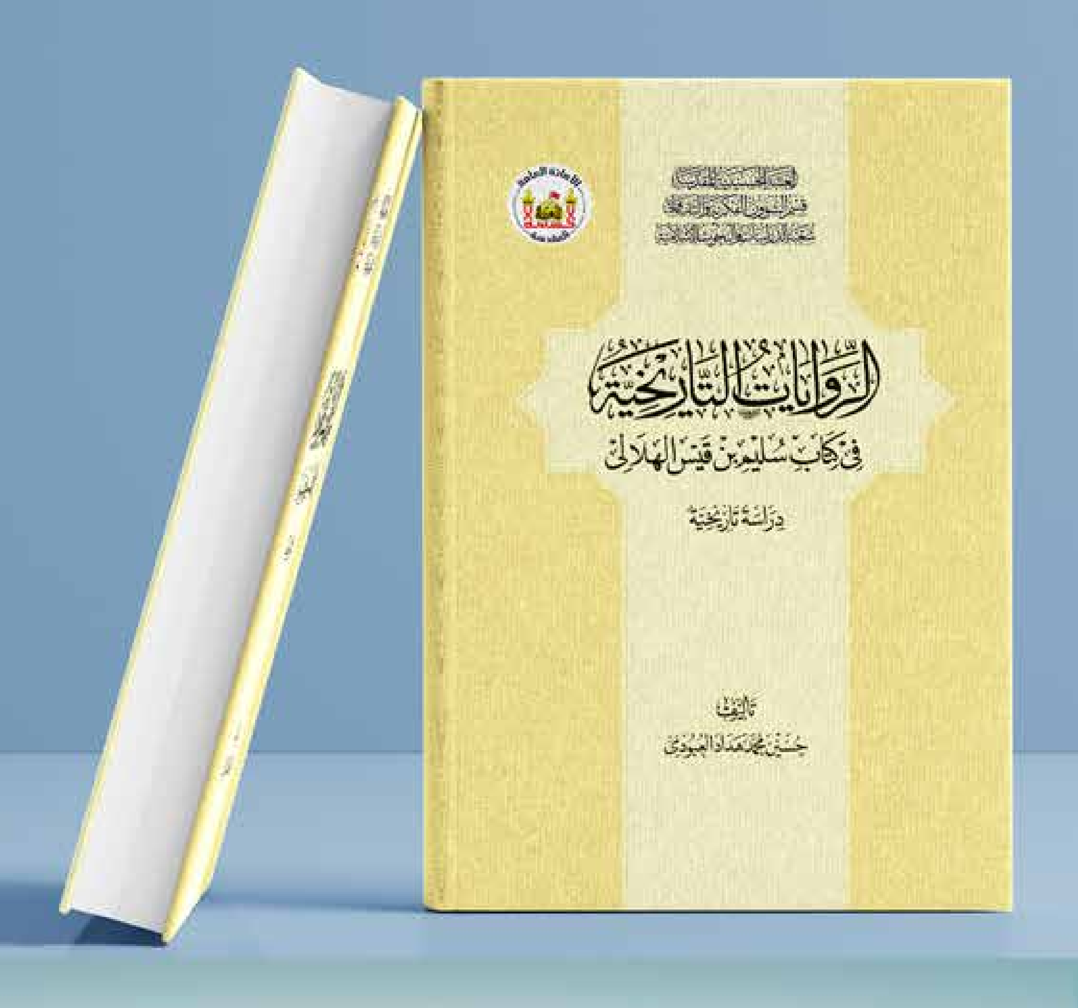
وإنّه لعلمٌ محيط، يستوي فيه الصغير والكبير، وما في السماوات وما في الأرض.

وإنّها لقدرة شاملة يستوي فيها الموت والحياة، والابتداء والإعادة.

وإنّه لحساب دقيق، تجد كلُّ نفس فيه ما عملت من خير، وتلقى فيه ما عملت من سوء.

فإذا استشعر الإنسان رقابة ربّه عليه، وإذا استيقن أنّه مجزيّ على عمله.. إنْ خيراً فخيرٌ، وإنْ شراً فشرٌ، كان يقظ الضمير، دائم الحراسة لنفسه، شديد الانتباه لأعمالها، شديد الحرص على إصلاحها، وتهذيب أخلاقها.

صدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الحسينية المقدسة
الكتاب الموسوم بـ(الروايات التاريخية في
كتاب سليم بن قيس الهلالي) دراسة تاريخية



تعلن إدارة مجلة الوارث عن استقبال المقالات في المجالات الثقافية والاسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة

يرجى إرسال الأعمال على البريد الالكتروني التالي:

Email: info@imamhussain-lib.com

أو تلكرام الرقم: 07435000242